الديوان السادس

ضرب الكليم

ضرب كليم

تأليف

محمد إقبال

نقله إلى العربية شعرًا

الدكتور عبد الوهاب عزام

الناشر

شركة نوابغ الفكر

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1434هـ - 2013
حقوق الطبع محفوظة للناشر
شركة نوابغ الفكر
هاتف:25936402 ،فاكس: 27865553
E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اقبال ، محمد
ضرب الكليم: ضرب الكليم : الديوان السادس/محمد اقبال ،نقلة الى العربية : عبد الوهاب عزام
- ط 1 – القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2012
166 ص ، 24سم
تدمك :2-07-6415-977-978
1- الشعر الفارسى
2- عزام ، عبد الوهاب (ترجمه)
ا- العنوان

ديوى :891,551

رقم الايداع :2012/21459

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

-١-

نسألك اللهم الإلهام والتوفيق. وبعد فقد يسر الله تعالى منذ عشرة أشهر ترجمة ديوان بيام مشرق الذي نظمه بالفارسية الشاعر الفيلسوف محمد إقبال رحمه الله. وتمَّ طبع الديوان بالعربية في مدينة كراجي حين الذكرى الثالثة عشرة لوفاة الشاعرة في شهر نيسان (إبريل) سنة ١٩٥١.

وقدمت جماعة إقبال الديوان العربي إلى حاكم باكستان العام في احتفال رسمي حاشد.

وكانت ترجمة أحد دواوين إقبال إلى العربية تحقيق أمنية كبيرة للشاعر رحمه الله، واستجابة لأمل قديم في نفسي، وبلوغ غاية حاولت المسير إليها مرات فعوقتني الشواغل.

وكان لهذه الترجمة أثر بليغ في نفوس علماء باكستان وأدبائها وساستها، وقبول حسن عند قراء العربية.

-٢-

دعاني هذا الظفر إلى الاستقامة على الطريق لأترجم دواوين أخرى للشاعر العظيم، وهون علي المضي فيما بدأت واحتمال المشقة فيما

تصديت له، ودعا كثيرًا ممن يعرفني من أهل باكستان إلى أن يتوجهوا إليَّ ناظرين ترجمة أخرى.

وذكرت الديوان الذي هممت بترجمته من قبل. وهو «جاويد نامه» القصة التي بين فيها إقبال كثيرًا من أحوال المسلمين وكثيرًا من آرائه وفلسفته أثناء رحلة في الكواكب دليله فيها الشاعر الصوفي الكبير جلال الدين الرومي صاحب المثنوي.

وما ترددت في إيثار جاويد نامه بالترجمة بعد «بيام مشرق» ولكن صديقًا أديبًا من محبي إقبال المعجبين به، العارفين بشعره وفلسفته وسيرته، ومن الذين خالطوه كثيرًا في حياته، ولم يدخروا جُهدًا في بيان دعوته والتعريف به -اقترح علي ترجمة ديوان آخر.

قال الصديق الأستاذ أحمد برويز: أرى أن تترجم «ضرب كليم» لأنه آخر ما نشر المؤلف وآخر ما نظم إلا ديوان أرمغان حجاز الذي نشر بعد وفاته. وهو، إلى هذا، تتجلى فيه فلسفة إقبال القوية، ودعوته الصريحة في أمور معينة جعلها في الديوان فصولًا. ثم جاويد نامه منظومة واحدة طويلة عميقة يحتاج قارئها إلى زاد كثير من الفلسفة والتاريخ. ولا يتيسر إدراك مرامها إلا لقارئ أوتي حظًّا موفورًا من العلم والأدب. ومترجمها لا يبلغ غايته حتى ينتهي منها؛ على حين أن مترجم ضرب كليم ينهي عملًا بترجمة كل قطعة فيه، ويبلغ غاية كلما انتهى من فصل. وهو بعد هذا وذاك، أقل أبياتًا، وأيسر كلفة.

وما زال الصديق يوالي الحجج، حتى وافقته على أن أقدم «ضرب كليم» على «جاويد نامه» مؤخرًا هذه القصة مرة أخرى. والله المستعان.

رأينا أن نجتمع على قراءة الكتاب، واستقصاء معانيه، والتعمق في عباراته وإشاراته، قبل بدء الترجمة.

وتواعدنا أن نجتمع في دار السفارة المصرية من مدينة كراجي، ونوالي الاجتماع كل أسبوع مرتين أو ثلاثًا حتى نفرغ من الديوان.

وحرصنا على ألا نتفرق عن مجلس حتى نتفق على موعد المجلس التالي؛ خشية أن تصرفنا الأشغال عن هذه المجالس. وكانت أفئدتنا تهفو إليها، وذكراها تحبب إلينا أن نسارع إليها.

كنت أنا والأستاذ أحمد برويز والأستاذ سيد عبد الواحد مدير الغابات في باكستان، وهو أحد المؤلفين في سيرة إقبال وفلسفته، أركان هذا المجلس. وكان يختلف إلينا إخوان من محبي إقبال منهم من يشهد مجالس متتابعة، ومنهم من يشهد جلسة أو جلستين ثم يغب أو ينقطع؛ فكانت الحلقة تضيق وتتسع.

وكنا بين الحين والحين ندعو إلى وليمة نستكثر فيها من أعضاء جماعة إقبال في كراجي، وندعو إليها رئيسها الفاضل نذير أحمد وزير الصناعة حينئذ.

وكان الأخ أحمد برويز شيخ المجلس، يتولى القراءة والشرح، ويفيض في الإبانة عن آراء إقبال، ويستطرد إلى كلام في الشعر أو الفلسفة، وإلى وصل كلام إقبال بالقرآن الكريم.

وقد سميت المجلس «مجلس إقبال» أو «مجلس الإقبال» وسميت حاضريه «دراويش إقبال» أو «قلندران إقبال» وسميت أحمد برويز شيخ الدراويش أو «شيخ قلندران إقبال».

***

شرعنا في القراءة عقب عيد الفطر من سنة ١٣٧٠هـ. فلما فرغنا كتبت في بياض بالصفحة الأخيرة من الكتاب:

«تمت القراءة عشاء يوم السبت خامس المحرم سنة ١٣٧١هـ (٦ أكتوبر سنة ١٩٥١م)».

«والحمد لله أولًا وآخرًا ورحم الله إقبالًا».

فقد قرأنا الكتاب في ثلاثة أشهر. ولا جرم أننا شغلنا عن المجلس أحيانًا فلم نتابع مجالسنا على ما قدرنا.

وشرعت في الترجمة ليلة الإثنين حادي عشر شوال سنة ١٣٧٠هـ (١٦ تموز ١٩٥١م).

obeikandl.com

فلما فرغت منها كتبت السطور التي أرخت فيها إتمام القراءة: «يسر الله الفراغ من الترجمة عشاء ليلة الأحد ١٨ صفر الخير سنة ١٣٧١هـ (٨ تشرين الثاني ١٩٥٢م)».

فقد شغلتني الترجمة زهاء أربعة أشهر وفرغت منها بعد شهر وصف من إتمام القراءة.

-٤-

آثرت أن أطبع الديوان في مصر لأبلغ فيه ما فاتني في بيام مشرق من وضوح الحروف واستكمال الشكل. ولبثت أرتقب سفري إلى الوطن المبارك، فلما بلغته في السادس من كانون الأول (ديسمبر) شرعت أبيض الديوان وأعده للطبع، بين شواغل وأسفار متوالية وتولى رقمه[1] ولدنا الفاضل محمود جعفر الجبالي المفتش بمصلحة الضرائب.

ورغبت إليَّ «جماعة الأزهر للنشر والتأليف» أن يكون الديوان من مطبوعاتها فسلمته إليها شاكرًا. ووددت أن ينجز طبعه وأنا في مصر لأنظر في تصحيحه، ووضع كلمة مكان أخرى أثناء التصحيح. ولكن لم يكن بد من العودة إلى باكستان قبل طبع الكتاب.

(١) وضعت كلمة مرقم لما يسمى الآلة الكاتبة، فاستعملت كلمة راقم لمن يسمى كاتبًا على الآلة الكاتبة، ورقم بدل كتب على الآلة الكاتبة. وقد استعملت هذه الكلمات في جامعة فؤاد الأول، فلعل استعمالها يشيع.

فتولى الإشراف على الطبع وإرسال النماذج إليَّ بالبريد الجوي، الأستاذ محمود الجبالي أيضًا، جزاه الله خير الجزاء.

***

إنَّ من سعادة الجد أن أحقق أمنية الشاعر الفيلسوف العظيم، وأزيد في ثراء لغة القرآن بترجمة بعض دواوين إقبال إلى العربية.

ويزيدني غبطة، ويشرح صدري، أن أنشر ديوان ضرب كليم حين الذكرى الرابعة عشرة لوفاة شاعر الإسلام النابغة، كما امتلأت نفسي سرورًا، وقلبي نورًا، حينما نشرت بيام مشرق في الذكرى الثالثة عشرة لوفاته. كم رجوت أن أترجم من دواوين إقبال؛ ولكن ما طمعت قط فيما يسره الله لي من ترجمة ديوانين في أقل من ثمانية أشهر، ونشرهما في سنة واحدة.

والحمد لله على توفيقه. وهو المسئول أن يوفق ويلهم ويسدد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

مدينة كراجي

١٥ آذار سنة ١٣٧١هـ

١٩ جمادى الثانية سنة ١٩٥٢م

مدخل
«ضرب الكليم»

ديوان يشتمل على آراء ونظرات في الناس جماعات ووحدانًا وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة. فهو أدخل في الفكر والفلسفة؛ ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر.

وكل حقيقة في هذا الكون أهل أن تدخل في الشعر، إن صبغتها عاطفة الإنسان، أو صورها خياله. وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها؛ بعضها عند المحيط يدخل في الشعر قليلًا، ويجاور ما هو خارج الدائرة، وبعضها أدخل في الدائرة، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال.

فالكلام في ضرب الكليم شعر يقارب الحقائق المجردة أحيانًا، ويمعن في الشعر أحيانًا ولكنه في جملته أقرب إلى المحيط منه إلى المركز.

ومن أجل هذا لقيت في ترجمته عناء أكثر مما لقيت في ترجمة بيام مشرق، وإذ حرصت على ألا تذهب الترجمة بقسمات الشعر فيه، وألا ينصِل بها الخضاب الشعري القليل، وألا يذبل هذا الزهر الصغير بالانتقال من روضة إلى روضة، وألا تضيع الدقائق الشعرية بين لغتين مختلفتين وأسلوبين من البيان متباعدين.

والكتاب في جملته ضرب يفجر الماء من الحجر لا موسيقى وغناء كما قال إقبال:

كفاح شديد وضرب سديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر

ومن أجل هذا سماه ضرب الكليم، رمزًا إلى قصة موسى حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا.

فلعل القارئ يقدر حقائقه في معرض من الشعر شفاف أكثر مما يلتمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته. ولعله كذلك يقدر عناء المنشئ والمترجم في عرض هذه الحقائق والإبانة عنها في أسلوب من الشعر الرصين.

فصول الديوان

قسَّم الشاعر ديوان ضرب الكليم على ستة فصول، وقدَّم قبلها قطعتين وقصيدة: القطعة الأولى أبيات قدَّم بها الديوان إلى أمير ولاية بهوبال حميد الله خان، والثانية يُخاطب فيها القراء. والقصيدة سماها تمهيدًا.

وهذه فصول الديوان:

١- الإسلام والمسلمون، (وهو أطول الفصول).

٢- التعليم والتربية.

٣- المرأة.

obeikandl.com

٤- آداب الفنون الجميلة، (وهو ثاني الفصول طولًا).

٥- سياسيات المشرق والمغرب.

٦- أفكار محراب كل الأفغاني.

وهذه الفصول مؤلفة من قطع صغيرة بين بيتين وعشرة، لا تتجاوز العشرة إلا قليلًا.

والفصل الأخير منظومة واحدة مقسمة عشرين قسمًا تختلف أقسامها أوزانًا وقوافي؛ ولكن الشاعر جعلها منظومة واحدة وربط بين أقسامها بأعداد متوالية.

والقطع في الفصول كلها، إن عددنا أقسام الفصل الأخير، مائتان واثنتان.

وفي المقدمة أربع قطع.

فلسفة إقبال

لا بدَّ من كلمة موجزة في فلسفة إقبال تعين القارئ على إدراك مرامي الشاعر.

أساس فلسفة إقبال ما سماه «خودي» (الذات أو الذاتية).

وقد بين مذهبه هذا في كثير من شعره وخص به منظومة سماها أسرار خودي.

وخلاصة هذه الفلسفة، وما بني عليها، وما يتصل بها من آراء:

(أ) أن الذاتية جوهر الكون وأساس نظامه، وسر الحياة فيه.

(ب) وأن الذاتية هذه تحيا من تخليق المقاصد، وتوليد الآمال.

كما يقول إقبال: «نحن أحياء بتخليق المقاصد، ونحن منيرون من شعاع الأمل».

(ج) وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمل، وسعيها إليه غير متوانية وإقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيله كما قال: «وهي بالمحبة أقوى، وأحيا وأضوأ».

(د) والجهاد الدائم، والكفاح المتصل تقوى به الحياة وتزداد وتنير. والأحجام، والتردد والسكون إلى الدعة والخضوع تضعف الحياة وتطفئها.

(هـ) وعلى الإنسان أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب، وأن يعتمد على نفسه، ويظهر ذاته في قوله وفعله، ويحذر التقليد والاعتماد على غيره، وطلب ما عند الناس والغفلة عما في نفسه من كنوز.

(و) بهذا كله تقوى الذات، وقوة الذات هي مقصد هذه الحياة. والشاعر معجب بالقوة في كل شيء، القوة الحسية، والقوة المعنوية. وهو بهذا يعجب بالفيلسوف الألماني نيتشه ويذكره كثيرًا؛ ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب، والجسم لا الروح، والعلم لا العشق، ويقول عنه: لم يكن أهلًا لنكتة التوحيد، وأنه آمن عقله وكفر قلبه، وأنه بنى موثنا على أسس مسجد.

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال، فإنَّ الجمال لا يكون بغير جلال.

يقول في القطعة التي عنوانها: الجلال والجمال:

عندي جمال في بهاء أن تُرَى ... في سجدة للقوة الأفلاكُ
ولنغمةٌ من دون نار نفخة ... ما الحسن إلا بالحلال يُحاكُ

بل يقول في هذه القطعة: إنه لا يحب أن يعذب بنار غير قوية:

لا أرتضي نار الجزاء ولم تكن ... وهاجة ولهيبها درَّاكُ

(ز) والحسن والقبح، أو الخير والشر من علو الذات وانحطاطها وقوتها وضعفها.

عالم الذات به علو وسفل ... وبه معرك قُبح وجمالِ
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل ... وقبيحٌ ما بدا في الاستفال

(ح) والذات المفردة القوية الناضجة تنسلك في الجماعة، ولا تفنى فيها. وقد بين إقبال في ديوانه أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى. ومن إشارته في هذا:

يا من في القافلة سِرْ رفيقًا وكن وحيدًا

ويقول في ضرب كليم في القطعة التي عنوانها الرجل العظيم:

هو في المجمع خال ومن الحشد طليق
مثل شمع الحفل، في الحفـ ـل وحيد ورفيق

(ط) والإنسان أعظم الكائنات، وكل شيء في العالم مسخر له كما في القرآن الكريم:

{ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضَّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلًا}.

{وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه}.

{وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}.

(ي) والإنسان حرٌّ غير مجبر، ومخيَّر غير مسير. عزمه دليل على القضاء أو مشير عليه. والمؤمن الحر هو مقياس الصلاح والفساد والبقاء والفناء في هذه الدنيا؛ بل في الدنيا والآخرة:

فيـه عـزم علـى القـضاء مُـشير وهـو فـي العـالمين كـالميزان

النبـات والجمـاد فـي قهـر الطبيعـة؛ ولكـن المـؤمن الحـر لا يقيـده إلا إطاعته أحكام ربه:

إن النبـات وإن الجامـدات لهـا مـن القـضاء قيـود ذات إحكـام
والمـؤمن الحـر لا شـيء يقيـده لكـن لخالقـه فـي قَيـد أحكـام

يا - الحضارة الحديثة

ويـروى إقبـال أن الحـضارة الأوروبيـة ماديـة، لا روح لهـا ولا قلـب. ويشتد في نقـدها، ويـذكر فلاسـفتها فيقبـل مـن آرائهـم قليلًا ويـرد كثيـرًا، ويرى أن في الإسلام وحضارته سعادة البشرة والتأليف بينهم، وجمعهم على شرعة الحق إخوةً متحابين متعاونين.

يب - فلسفته في هذا الديوان

تتجلى فلسفة إقبال، في الذات وما يتصل بها ونظره إلى الحضارتين الإسلامية والأوربية وسائر آرائه، في كل فصول هذا الديوان، حتى الأدب والفنون الجميلة.

الـشعر فيـه مـن الحيـاة رسـالة أبديـــة لا تقبـــل التبـــديلا
إن كـان مـن جبريـل فيـه نغمـة أو كـــان فيـــه صُـــور إســـرافيلا
- صـمت طيـر الـصبح أولـى مـن إن سرى في الرَّوض باللحن ذبول

والغناء إن أدى إلى ضعف أو خَوَر فهو حرام:

إن سرت في اللحون دعوة موت حـرُم النـايُ عنـدنا والربـابُ

والمصور ينبغي أن يصور الحياة وأن يطبع ذاته على الطبيعة لا أن يحاكيها:

مقـصد الفـن فـي الحيـاة لهيـب أبـدي فمـا وَمـيضُ الـشرار؟
يـا خبيـرًا بفنـه فيـه تمـت صنعةُ العصر والعصور الخوالي
كـم تـرى مـن طبيعـة وتريهـا أرِنـا الـذات فـوق هـذي المجالي

تفسير اصطلاحات في الديوان

«الفقر»

يشيد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره، ويعده مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سؤدد، والمقتحم كل عقبة.

ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان:

في القطعة: «على ذكر الأذن يحمل السيف»:

أيهـا المـسلم تَـدري اليـوم مـا قيمـة الفـولاذ والعَـضْبِ الـذكَر
هـو مِـصراعٌ مـن البيـت الـذي مـضمرٌ فيـه مـن التوحيـد سـرّ
وأرى مـصراعَه الثـاني فـي سـيف فقـر تحتويـه كـفُّ حـر

وقوله في القطعة «الفقر والملكية»:

الفقـــر يمـــضي بـــلا ســـلاح فـــي حومـــة الحـــرب كـــالرجوم

وقوله في قطعة «السلطان»:

تعلـــم فـــألف مقـــام وشـــأن لفقـــر بـــدا فيـــه روح القُـــرآن

وقوله في قطعة «الإمامة»:

يُمِـــرّ عليـــك مـــن فقـــر مِـــسَنًّا فيطبـــع منـــك ســـيفًا للمنايـــا

وقوله في القطعة «نكتة التوحيد»:

أيُّ ملـــك مقـــام فقـــر، ولكـــن تـــؤثر الـــذل مـــذعنًا مـــا احتيـــالي

وقوله في القطعة التي أولها: متاعك في الحياة فنون علم:

ومـــا إن ذل قـــوم قـــد أعـــدّوا حمـــاس العـــشق والفقـــرِ الغيـــور

ويتبين من التأمل في هذه الأبيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو قلته، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتز به من متاع الدنيا. فماذا يعني إقبال حين يذكر الفقر ويشيد به ويبالغ في إكباره؟ الذي أدركته من كلام الشاعر أن الفقر الذي يعنيه هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع، ومضيها عاملة مقدمة لا يطغها وجدان ولا يذلها حرمان. وربما يملك الفقير قناطير من الذهب، وربما يكون ملكًا مسلطًا لا يُعجز سلطانه مال أو متاع.

وليس هذا المعنى بعيدًا عما فسَّر به بعض الصوفية الفقر. ففي رسالة القشيري:

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر، فقال: «حقيقته ألا يستغنى إلا بالله».

وقال الشبلي:

«أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد، فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صَدَق في فقره».

وفي الرسالة أيضًا:

«وقيل: صحة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره».

وفي كتاب عوارف المعارف للسهروردي:

«وقال الكتاني: إذا صحَّ الافتقار إلى الله تعالى صحَّ الغني بالله تعالى؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر».

فترى أن الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال؛ ولكن ألا يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فات؛ أعني ألا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في يده.

«قلندر»

يعني به إقبال الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ولا أهل ولا دار. وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب وأحدث طريقة كان سالكوها

يديمون السفر لا يلبثون في مكان، ولا يقيدهم ملك ولا أهل ولا وطن، ويحلقون رءوسهم ولحاهم.

وسمي سالك هذه الطريقة قلندرا باسم صاحب الطريقة.

وقد رأيت أن أبقى اللفظ في الترجمة؛ لأنه علم في الأصل. وجعلته أحيانًا وصفًا وأحيانًا نسبت إليه فقلت: القلندر والقلندري.

«الجنون»

يكرر الشاعر ذكر الجنون في هذا الديوان، ففي القطعة التي أولها:

إلى عصبات العرب ما أنا منتم ولا أنا هندي ولا أنا أعجمي

يقول:

فلست أرى في بِيدِك اليوم جِنّة تَشبّ بهذا العقل نار التقدم

وفي القطعة التي أولها: متاعك في الحياة فنون علم.

يقول:

ومزّقتُ الجيوبَ وأنت خال جنوني -لا ألومك- في قُصور

وفي القطعة «يا شيخ الحرم»:

في جنوني لك أسرار بدت فاجزني يا شيخُ عن هذا اللمم

وفي القطعة التي عنوانها «المدرسة»:

أبعَـد الـدرس عـن حمـاك جنونـا قــال للعقــل: لا تَلُــذْ بنقــاش

وفي القطعة «فلسفة»:

إن فــي حلقــة المجــانين عقــلًا فــي شــرار يــرى لهيبًــا مُــضِيًا

وظاهر أن إقبالًا يعني بهذا الجنون الحماسَ والإقدام وأداء الواجب دون تردد، وفي غير حساب للمشقة والربح والخسارة، فهو قريب من العشق الذي يذكر في مقابلة العقل.

وكأنه يقول: إن هذا الإقدام يَعُدُّه الناس جنونًا، ونحن نحب هذا الجنون.

وللأستاذ أحمد برويز كلمة جامعة في فلسفة إقبال وآرائه يجدها القارئ بعد هذه المقدمة.

وحسب القارئ أن يظفر بمقال برويز عن إقبال.

فحسبي الكلمات التي قدمتها.

عبد الوهاب عزام

obeikandl.com

ضرب الكليم
كلمة الأستاذ أحمد برويز
(ترجمت من الأردوية)

هذا الكتاب الذي تقدم إلى القراء ترجمته، سماه العلامة إقبال «ضرب كليم» ووصفه بأنه (إيذان العصر الحاضر بالحرب). وأرى أن هذا الوصف لا يخص ضرب الكليم بل يشمل جانبًا كبيرًا من رسالة إقبال العظيمة. فنحن إذا قسمنا رسالة إقبال انقسمت-إلى قسمين خطيرين:

الأول: ثورة على «الإسلام غير المنزل من الله» وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية. وكان هذا الكيد للإسلام انتقامًا من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيوف المسلمين. فقد علموا أن سر القوة والسطوة في هذه الأمة المجاهدة، سنن القرآن وعقائده التي تبعث الحياة في النفوس. فكادوا لها ليبعدوها من القرآن ويربكوها في حبالة «الإسلام غير القرآني». وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغر هذا السراب ماء. لقد أدخلوا في الإسلام فلسفة اليونان المخدرة، وخضوع المجوس للسادة، وشريعة اليهود المعنية بالصور والأشكال. كذلكم عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلة من العمل والإقدام؛ فجعلوها بالاستسلام واليأس كومة من رماد.

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل، وبشير الحياة للإسلام القرآني.

***

والقسم الثاني من رسالة إقبال احتجاج دائم على هذه الفتن التي تموج بها الحضارة الغربية، والتي يذهب موجها بشباب الأمة الإسلامية كما يذهب السيل بالغثاء. وضرب الكليم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب.

ما حضارة العصر الحاضر؟ ولماذا يشتد إقبال في معاداتها؟ لا نعرف جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية.

إنَّ من يتدبر القرآن يتجلى له أن الإسلام نظام حياة يسمى دينًا. فقد بين القرآن للحياة الإنسانية مقاصد، وحد حدودًا، وجعل للإنسان الاختيار والاجتهاد غير متعد هذه الحدود وهذه المقاصد والحدود لا تتبدل، فهي حقائق أبدية، وقيم للحياة خالدة. يتبين من القرآن أن للحياة مظاهر مختلفة متغيرة، ولكن لها ينبوعًا واحدًا لا يتغير. وهذا الينبوع أصل هذه الحقائق التي ذكرت آنفًا.

والإيمان بوحدة ينبوع الحياة، ينبوع الحقائق الأبدية، يؤدي حتمًا إلى هذه النتائج:

(أ) كل إنسان مودَع في فطرته ممكنات الحياة، وغاية الحياة نمو هذه الممكنات وتجليها. وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا نضجت وتلألأت

تجلت ذات الإنسان. وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعي الإنسان وجهده.

(ب) والناس آحاد في أخوة شاملة عامة، لا تحدها الأوطان والأقوام واللغات.

(ج) ثم فلاح النوع الإنساني في أن يمضي في الحياة على شريعة واحدة، يتلقى بالوحي. وهو اليوم محفوظ بين دفتي القرآن تحت هذه السماء.

***

في الإسلام نظام للمعايش محكم، قائم على هذه القواعد المحكمة، يمضي الإنسان به على سنن التقدم والترقي حتى يبلغ في مراحل الكمال سدرة المنتهى.

وإليك خصائص هذا النظام:

(أ) في هذا النظام يستطيع كل فرد في الجماعة أن يمثل في نفسه الصفات الإلهية التي يسميها القرآن «الأسماء الحسنى». وهي ينبوع القيم الدائمة في الكائنات.

(ب) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسنى، ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب.

(ج) وتتجلى في الإنسان بصيرة يصح بها حكمه، ويستقيم رأيه، فيعلم أي هذه الصفات الإلهية تقابل أي الحادثات الخارجية التي تنتابه.

(د) ثم يبدو في الجماعة التي تؤلفها أفراد من هذا القبيل، قدرة على تسخير عالم الطبيعة، وصلاحية للانتفاع بهذا التسخير في فلاح الإنسان وسعادته.

(هـ) وبالإيمان المحكم بوحدة الخالق، ووحدة الكائنات، ووحدة الأمة وائتلافها، تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية.

(و) ثم يرى كل واحد في هذه الجماعة نفسه مظهرًا للصفة الإلهية «رب العالمين»، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راج أجرًا ولا عوضًا، فتيسر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة، وتنمو فيهم القوى الفطرية، وتذلل لهم الوسائل والأسباب أبدًا.

***

هذه خلاصة المدنية القرآنية في كلمات قليلة. وعلى عكسها المدنية الحاضرة. فهي تناقض هذه الأصول كل المناقضة.

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة: أن الحياة تنشأ من اجتماع العناصر المادية اتفاقًا، وتفنى بتفرق هذه العناصر. والدنيا هي دنيا هذه

العناصر المادية التي يتغير فيها كل شيء. فليس فيها قيم دائمة، وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال، والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعًا خاصًا (ولو كان في هذا هلاك آحاد أو جماعات أخرى).

والشر ما يضر واحدًا أو جماعة. وكل أمل هؤلاء الوحدان والجماعات في الحياة أن تجر إلى أنفسها منفعة، وعمل العقل والعلم أن يهيئ الأسباب والوسائل أو الحيل والمكايد لتحصيل هذه المنفعة.

ونتيجة هذه الفلسفة (مدنية العصر الحاضر) في الأفراد، أن في كل ستة من تلك الأفراد فردًا يختل عقله فيرسل إلى مستشفى المجانين، كذلك دل إحصاء أهل الغرب أنفسهم. ونتيجة هذه الفلسفة في الجماعات أن أمم العالم في شغل بالقتل وسفك الدماء والتدمير، أو بالاستعداد للقتل والسفك والتدمير.

***

أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة، ونظريات السياسة والعمران، عند الأمم الغربية؛ فتجلت له هذه الحقيقة: أن هذه الفلسفة، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة.

وإلى هذا كشفت له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في السحب، والعواصف المضمرة في الرياح.

هـذا النظـر حفـز إقبـالًا إلـى أن يحـذر الغـرب، فيقـول للغـربيين سـنة ١٩٠٥م: «ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها -لا يثبت العش على غصن رطيب ضعيف مضطرب».

ولم يأل إقبال جهدًا، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته، في أن يحذر الناس عامة والأمم الإسلامية خاصة من هذه الحضارة الشيطانية، ويخوفهم عواقبها.

***

وهذه طائفة من النذر، اسمها «ضرب كليم» يكتبها إقبال بعد أن يحطم كل أصنام العصر الحاضر، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية والهامانية والقارونية[1] بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا وفاران، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض، وينزل الخير من السماء.

هذا ما يتعلق بـ«ضرب كليم». ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام، وهي أن شعر إقبال حافل بكلمات معينة، عربية وفارسية، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو. إذن لا يتأتى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملمًّا بحدود تلك المصطلحات الخاصة، مثل «علم وعشق، ذكر وفكر، خبر ونظر، سوز وساز، أو درويش وقلندر ومرَدِ حُر»

(١) يعني صفات فرعون وهامان وقارون.

وأخرى غيرها. ومع أن كل واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحًا هو بمثابة المحور لفكر إقبال، المحور الذي حوله يدور شعره كله، ألا وهو «خودي = الذاتية». لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا (بالأردوية) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور (الأنانية) لكن إقبال أفاض عليه معنى خاصًا مغاير للمعنى القديم الذي لم يلبث أن اختفى في أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد.

فماذا يعني إقبال بـ«خودي»؟

إنَّ الإجابة على هذا السؤال تأبى إلا البسط والتفصيل؛ لأن فلسفة إقبال هي فلسفة «خودي» سواء بسواء، بحيث لا يمكن الإحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمتها. وليس هذا مقام التفصيل والإطناب، إلا أنه نظرًا إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح في «ضرب كليم» يتحتم علينا أن نعرفه تعريفًا خاطفًا بكلمة موجزة قدر الإمكان:

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردي، أو بعبارة أخرى «أنا» حقيقة مستقلة أم هي من نسج الخيال فقط؟ هذا هو السؤال الذي قلما أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه. فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند، إلى أن الكون لا يتمتع إلا بالوجود الكلي وأن ذات الإنسان (شخصيته أو «أنا») وهم وخدعة لا غير. ثم إن هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذي هو بدوره ينشأ من الرغبة. فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل؛ لكي يتلاشى حباب ذات الإنسان في بحر الوجود الكلي. وفناء

الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة. فهذه هي فلسفة الحياة التي ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتي حوَّلت المسلمين من أمة دائبة في العمل إلى جماد لا حراك به.

وقد عُني إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه، ومعارضتها بضدها أعني فلسفة «خودي». وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة في أن الوجود ليس كليًا يشمل الكون من حيث المجموع؛ بل هو فردي يخص جميع الموجودات كلًا على حدة، حتى أن الله أيضًا فرد، وإن كان متميزًا عن سائر الكون في طبيعة وجوده الفردي الخاص، فـ«خودي» عبارة عن أسمى صورة للحياة الفردية التي بها تتشكل شخصية الإنسان ووجوده المستقل. وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات «خودي» لا سلب الذات. ويعتقد إقبال أن الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود (الذي يطلق عليه «أنا» المطلق أو الله) أصبح هو نفسه منفردًا عزيز الوجود، وذلك بما يسمى بتقوية «خودي» وإحكامها. و«التشبه بالله» إنما يعني استمرار الإنسان في التحلي بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب «أنا المطلق» في نفسه (نفس الإنسان). والمحك الذي يكشف عن قوة «خودي» وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التي تعترض سبيله في الحياة. ولا يخفى أن أعظم تلك الموانع هي المادة، ولكن لا يفهم من هذا أن المادة شر يستوجب الابتعاد والنفور منه، فإنها ليست شرًا، إنما هي وسيلة لإيقاظ الهمم وإبراز قوى الإنسان من مكامنها.

واحتناك الموانع والعوائق وتغلب الإنسان عليها يصل بـ«خودي» إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت -الأمر الذي ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة. فكل عمل يؤدي إلى تقوي «خودي» خير، كما أن كل عمل يؤدي إلى إضعافها شر.

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء «خودي» فيقول: إن المرحلة الأولى هي (خلق المقاصد) أو (توليد الرغبات)، فإن الرغبات والأماني هي عين الحياة وأصل القوة من حيث تحرك وتدفع إلى العمل. والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد، والحماس للحصول على المقاصد والسبق إلى الغايات هو ما يسمى بـ«العشق» في عرف إقبال. ثم إن هناك ثلاثة شروط للنجاح في هذا الجهد: أولها الطاعة؛ أعني الانقياد التام لأوامر الله، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذي جاء به القرآن. وينتج من الطاعة ضبطُ النفس الذي هو الشرط الثاني للنجاح. وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات؛ بل مجرد «كظمها» أي: تغيير مجراها وتحويل وجهتها بحيث يتم التوازن بينها، ذلك التوازن الذي يتجلى بأكمل وجه في الذات الإلهية الجامعة لصفات متضادة متعادلة للغاية.

وإذا تمَّ تطهير الفكر والعمل وتهذيب النفس على النحو الذي تقدم، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسميه إقبال «نيابة الله». وذلك هو الشرط الثالث. وإنما يعني إقبال بـ«نيابة الله» القوة التنفيذية التي تتولى إجراء

حدود الله (أحكام القرآن) في العالم. (ولا تعني نيابة الله الحلول محل الله؛ لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولًا).

هذا المقام هو «مقام المؤمن» والمقام الذي يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة «خودي» واستحكامه. إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ولم تغلب الدنيا عليه -الحال التي تسمى في عرف إقبال «الفقر (حال الدرويش أو القلندر)» وهي عبارة عن تسخير جميع الكون، ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهرًا لتلك الصفة من صفات الله التي ذكرها بقوله «الصمد» و«غني عن العالمين». والجماعة التي تنتظم أفرادًا هذه حالهم هي الأمة المسلمة. وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة التي قيل عنها:

ميان امتان وإلا مقام است كه آنه امت دوكيتي را امام است
نياسا يد زكار آفرينش كه خواب وخستكى بروى حرام

(إنها تعلو فوق الأمم لأنها أمة نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة، فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق؛ لأن النوم والتعب محرمان عليها) إشارة إلى قوله تعالى: {لا تأخذه سنة ولا نوم}، {وما مسنا من لغوب}. وقيل عنها أيضًا:

بباغان عندليبي خوش صفيري براغان جره بازى زودكيرى
أمير أو بسلطاني فقيري فقير أو به درويش أميري

(إنها في البساتين عندليب حسن التغريد وفي الصحاري باز خفيف سريع الانقضاض، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطانًا، كما أن الفقير فيها أمير على الرغم من كونه درويشًا).

{لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}.

***

ومن جد رسالة إقبال أن ظفرت بالصديق المبجل صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام، وفي يده قلم يشق الصخر ويجري نهرًا من اللبن[1]، فأخرجها من ضيق الأردية إلى بحر العربية، ونقلها من ركود الساحل إلى أمواج العباب، تنشر شراعها وتمضي سبيلها.

ومن جَد الناطقين بالعربية من الأمة الإسلامية، أن يعرفوا رسالة الحياة، هذه الرسالة التي كانت بعيدة عنهم بألفاظها على قربها منهم بمعناها.

والله يقدر لرسالة البعث هذه أن تقع في ديار العرب بذرًا صالحًا ينبت الشجرة الباسقة التي نبتت هناك من قبل، والتي قيل في سموها وبسوقها {أصلها ثابت وفرعها في السماء} وقيل في سعتها وامتدادها {لا شرقية ولا غربية}. وإنما ينبت هذا الشجر المبارك ويثمر في أرض القرآن.

(١) إشارة إلى قصة فرهاد وشيرين؛ فقد شق فرهاد طريقًا في الجبل وأجرى فيه اللبن من المراعي، كما طلب الملك برويز ليظفر بشيرين. تفضل بترجمة الجزء الأكبر من كلمة الأستاذ برويز، حضرة الأستاذ الدكتور محمد يوسف المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

تلك رسالة إقبال، مفهومها ومنطوقها:

مسلمًا إن ترد حياة فهيا ... ما بغير القرن تؤتى الحياة[١]

غلام أحمد برويز
صاحب معارف القرآن

كراتشي (باكستان)

فِطرة الحُرِّ لا تُطيق مُقامًا ... فألفِ السيرَ دائباً كالنسيم

ألفُ عَين تشقّ صخرَك فاضرب ... بَعدَ غَوْص في (الذات) ضربَ

إلى القارئين

إذا لم تُصِب في الحياة النظرْ ... فليس زجاجُك كُفءَ الحجر[٢]

كِفاح شديدٌ، وضربٌ سديد ... فلا ترجُ في الحرب عَزفَ الوتر

مَعينُ الحياة دماءُ القلوب ... ولحنُ الدِمَا لا المياهِ الفِطر[٣]

---

(١) كرتومي خواهي مسلمان زيستن ... نيست ممكن جز بقرآن زيستن.

(٢) أنت بالنظر الصائب صلب تطيق الصدام في الحياة، وإن لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام.

(٣) لحن المياه يستخرج من أوان تصف ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة، ويضرب عليها. وهذه تسمى «جل ترنك» أي: لحن الماء. فقال الشاعر: إن الفطرة لحن دم لا لحن ماء. يعني أن أنغامها تنبعث من دماء الناس لا من المياه.

obeikandl.com

تمهيد

(١)

يَقظـة «الـذات» لا أراهـا بِـدَيْرٍ ... لا ولا تُجتلَـى لـدى المِحـرابِ
إن روحَ الشعوب في الشرق غافٍ ... من سموم الترياق، رهنُ غياب[١]
إن تَضِق بالجهاد في الأرض ذَرعاً ... فحرامٌ مسراكَ فوقَ، السحاب[٢]
لـيس مـن خيفـة الممـات نجـاة ... إن تَر (الذات) هيكلًا من تراب[٣]
ليس يُخفِي صروفَه الدهرُ لكنْ ... لـك قلـبٌ وناظرٌ فـي حجـاب
قـد مُنِحـتُ الهـشيمَ فـي آسِـيا إذ ... أنَّ نـاري حديـدة فـي التهـاب[٤]
ذَنـبُ إقبـالِ البيـانُ وإن كـان ... شـبيهَ الزمـان نـزرَ الوصـال[٥]
هـاج أنغامُـه عكوفـاً علـى الخـشخاش مَـوْتَى، إلـى طِـلابِ المعـالي
فمهـيضُ الجنـاح آلِـفُ دارٍ ... قـد رَنـا اليـوم للفـضاء العـالي[٦]

---

(١) الترياق: الأفيون.

(٢) يقول: إن لم يستطع الإنسان المجاهدة على هذه الأرض، فاشتغاله بالفلك وما وراءه حرام.

(٣) يرى إقبال أن الحياة الخالدة بقوة الذات. فمن حسب ذاته ترابًا كالجسم لم يخلص من خشية الموت.

(٤) ناري شديدة الالتهاب، فأنا قادر على إحراق هشيم آسيا؛ أي أممها التي هي كالهشيم؛ أي إزالة مفاسدها وإعدادها للحياة.

(٥) إقبال قليل المخالطة للناس؛ ولكن بيانه سائر فيهم.

(٦) إقبال دعا إلى طلاب المعالي العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة؛ كسيرة الجناح إلى عنان السماء لتطير.

فعـداهُ التغريـدُ فـي الأسـحار وحنـينٌ ومُتعـةُ الأبـصار[1]

(١) دعاء على إقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد... إلخ جزاء إيقاظه الغافلين.

obeikandl.com

القسم الأول
الإسلام والمسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصبح

إنَّا لنجهلُ مطلعَ الصبح الذي ... يُدعى بيومٍ أو غدٍ في الأزمُنِ
لكنَّما الصبحُ الذي ارتجّتْ له ... ظُلَمُ العوالم، من أذانِ المؤمنِ

لا إله إلا الله[1]

مُسْتَسِرٌّ في الذات معنًى بعيدٌ ... سرُّه لا إلـه إلا الله
سيفُ الذاتُ قاطعٌ غير نابٍ ... شَحذُهُ لا إلـه إلا الله
عصرنا يبتغي خليلًا حَطوما ... وُثْنَـه. لا إلـه إلا الله [2]
إن دنياك مَوثن لا تصدِّق ... زوره. لا إلـه إلا الله

(١) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربي، فجهدت في الملائمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفًا وبنيت الروي قبلها على الهاء غير ملتزم حرفًا آخر.

(٢) الوثن جمع وثن والموثن مكان الأوثان.

في متاع الغرور تسعى وتبغي ... ربحه! لا إله إلا الله
يا أسير الخسار والربح يَنسى ... نفسه! لا إله إلا الله
مالُ دنياك والبنون خداع ... كله. لا إله إلا الله
هي أصنام واهمٍ قد براها ... وهمُه. لا إله إلا الله
حبس العقل في مكان ووقت ... كفرُه. لا إله إلا الله
لا زمانٌ ولا مكان فحطم ... غلَّه. لا إله إلا الله

الاستسلام للقدر

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن المسلمين احتجوا بالقرآن في القصور عن السعي، ومن هذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق. وقد ركنوا اليوم إلى القدر وكان عزمهم من قبل قدرًا. والحق أن العبودية بدلت النفوس فرأوا حسنًا ما كان عندهم قبيحًا.

من القرآن قد تركوا المساعي ... وبالقرآن قد ملكوا الثُريّا
إلى (التقدير) رَدُّوا كل سَعْيٍ ... وكان زَماعُهم قَدَراً خفيا
تبدَّلت الضمائر في إسارٍ ... فما كرهوه صار لهم رَضِيَّا

المعراج

الذرة التي يملوها الشوق تعلو على الشمس والقمر، والدراجة إذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر؛ فإنما القوة الحق قوة الروح، لا شيء يستعصى عليها.

وذَرّةٍ طار فيها الشوقُ صاعدةً ... تُغيرُ في عَرَصات الشمسِ والقمرِ

يا رفْقَة المَرجِ! تلقَى الصقرَ مُقدِمَةً ... دُرّاجةٌ تملأ الأنفاسَ من شرَر

المسلمُ السهمُ، والأفلاكُ غايتُه ... سرائرُ الروح في المعراج فادَّكر[1]

جهلتَ (والنجمِ) أسرارًا فلا ... ما زال مَدُّك محتاجًا إلى القمر[2]

إلى سيد مصاب بالفلسفة ...

لو لم تُوَلِّ «ذانَك» النسيانا ... لَمْ تَحمِلَنْ زُنَّار (بَرْجَسَانا) [3]

أصداف (هكيلٍ) من الخوالي ... طِلَسَمهُ جميعه خيالي

فكيف صاحِ تُحكَمُ الحياةُ ... وكيف تجتاز الزمانَ (الذات)؟

وطَلَبُ الإنسان للثبات ... وقصدهُ دستور ذي الحياة؟

---

(١) يريد أن في المعراج سر الروح؛ وهو رمز إلى أن المسلم سهم هدفه الفلك.

(٢) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم، التي يذكر فيها الوحي وتقريب الرسول إلى ربه. وليس جهلك عجيبًا فإن نفسك لم تكمل ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه، كما يحتاج البحر إلى القمر في مده.

(٣) برجسون فيلسوف فرنسوي ويلفظ اسمه في الهند بركسان وهيكل فيلسوف ألماني.

يُحوِّل الدجى إلى الإشراق ... أذانُ مؤمنٍ نِدا الآفاق
وإنني في الأصل سُوَمناتي ... إلى مَناةَ سَلفِي واللات[1]
وأنت من أولادِ هاشمي ... وطينتي من نَسْلِ بَرْهَميّ
في عَصَبي فسلفةُ الأشياء ... قد مُزِجَتْ بطينتي ومائي
أحاط إقبالٌ بها تفصيلًا ... وإن يكن عرفانُه قليلا
عاقبةُ العقلِ إلى شَتاتِ ... فلسفةٌ بُعدٌ من الحياة
ونَغْمَةُ الأفكار دونَ صَوت ... لِلذَّة الأعمال حادي الموت
الدين في حياتنا تقويم ... الدين أحمدٌ وإبراهيمُ
(قلبَك فاربط بالهُدَى المحمدي ... «أبا عليٍّ» اتركَنْ يا ابن علي
إن تك بالطريق غيرَ داري ... فالقرشي اتبَعه لا البخاري)[2]

الأرض والسماء

صاحِ عَلَّ الذي رأيتَ ربيعًا ... هو في أعُينٍ خريفُ الزمان
سالكَ النهج ! كلَّ حينٍ شُئونٌ ... لا تفكّر في الربح والخسران
رُبَّ ما خِلتَه بدنياك أوْجًا ... هو أرض لعالمٍ غَابَ ثانِ

اضمحلال المسلمين

(١) سومنات معبد كبير في الهند هدمه السلطان محمود الغزنوي حينما فتح الهند، ويشيده الهنادك اليوم. واللات ومناة من أصنام العرب.

(٢) هذان البيتان من شعر الخاقاني في «تحفة العراقين» وأبو علي والبخاري في البيتين: ابن سينا.

إن كـــان ذا الـــذهبُ الـــذي يقـضي الحـوائجَ فـي الـدُّنى
فـــالفقرُ صـــاحِ مُيَـــسِّرٌ مـــا لا يُيَـــسِّرهُ الغِنَـــى
شُـبَّانُ قـومي لـو تحلَّـوْا بالـــشجاعة ديـــدَنا
لـم تُلـفَ صَـعْلكتي أقـلَّ مـن الملـوك تَـصَوُّنا
الأمـرُ لـيس كمـا زعمـتَ وقـد وصـفتَ المؤمنـا
فزعمـتَ أن طَماحـه مـن قِلَّـة المـال انثنـى
إن كـان فـي الـدنيا بَـدا لـي جـوهرٌ فيـه سَـنا
فمـن التـصعلكِ قـد بـدا لا بـالخزائن والقُنَـى

العلم والعشق

قـال لـي العلـمُ غُـرورًا: إنمـا العـشقُ جنـونْ
قـال لـي العـشقُ مجيبًـا: إنمـا العلـمُ ظَنـينْ
لا تكـن سـوسَ كتـاب يـا أسـيرًا للظنـون
فمن العشق شُهودٌ
ومـن العلـم حجـابْ

مـن لهيـب العـشق ثـارت ثـورةٌ فـي الكائنـات
وشـهودُ (الـذاتِ) للعـشق، وللعلـم الـصفات
ومـن العـشق ثبـاتٌ وحيـاةٌ وممـات

عِلْمنا سُؤالٌ جليٌّ
عِـــــــشقُنا خـــــــافي الجـــــــوابْ

معجـــزاتُ العـــشق مُلـــكٌ زانَـــه فقـــرٌ ودِيـــن
وعبيـــدُ العـــشق أدنـــا هـــم لـــه عـــرش مكـــين
ومـــن العـــشق زمـــانٌ ومكـــان ومكـــين[1]
إنما العشق يقينٌ
وبـــــــه يفـــــــتحُ بـــــــابْ

أُلفَـــةُ المنـــزل فـــي شـــرعٍ مـــ ـــن الحُـــبِّ حـــرام
خطَـــرُ البحـــر حـــلال راحـــة الـــسِّرْبِ حـــرامُ
خفقـــةُ البـــرق حـــلال وَفـــرة الحَـــبِّ حـــرام[2]
عِلمنا نَسْلُ كتابٍ
عِشقنا أُمُّ الكتابْ

(١) يستعمل كثيرًا في الآداب الإسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان، ويراد بها من يحل في المكان.

(٢) الحب لا يرضى القرار ففي شرعه ألفة المنزل حرام، وحلال ركوب الخطر في البحر، وحرام الدعة على البر. وخفقة البرق التي تحرق البيدر حلال، ووفرة الحب أي الجمع والادخار وحب السلامة حرام. وذكر البرق والبيدر شائع في الشعر الفارسي والأردي.

obeikandl.com

اجتهاد

حكمةُ الدين كما قد زعموا ... عُلِّمتْ في الهند من أي طريقِ؟
ما بها لذةُ سعيٍ دائبٍ ... لا ولا فيها من الفكر العميقِ
أين منهم جُرأةُ العقل لدى ... مَحْفِل يهفو إلى الفكر مَشوق
آه للتقليد والأَسر بما ... أَلِفوه وزوالِ التحقيق
بدَّلوا القرآنَ لا أنفُسَهم ... كم فقيهٍ مُبعَدٍ من توفيقِ [1]
وكفى القرآنَ نقصًا أنه ... ما هدى المؤمنَ منهاجَ الرقيق [2]

شكر وشكوى

لك الحمد إنّي عبدٌ جهولٌ ... ولكنْ وُصِلتُ بسرِّ الغيوبْ
مَنَحتُ القلوبَ هُيَامًا جديدًا ... أَثرتُ البعيدَ به والقريب
ومن حَرِّ شَدْوِي يُرى في الخريف ... طَروبًا بصحبتي العندليب
ولكن خُلقتُ بأرضٍ بها ... نفوسُ العبيد برِقٍّ تطيب

---

(١) كرر إقبال هذا المعنى في شعره، يقول: إن النفوس قد ضعفت فأولت القرآن تأويلًا يلائم ضعفها إشفاقًا من تكاليفه.

(٢) يعني أن الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقًا إلى العبودية التي سكنوا إليها، فحسبوا القرآن ناقصًا.

الذكر والفكر

ذانِ للـــسالك الطَمـنـوح مقـــام نَزَلَـتْ فيـه «عَلَّـمَ الأَسْـمَاءَ» [١]
ومقـام التفكيـر قـولُ ابـنِ سـينا ومقـامُ العطَّـار بالـذِّكر ضَـاء [٢]
ولـــذكرٍ «ســـبحانَ ربـــيّ» والفكرُ يقيسُ الزمانَ والأرجاء [٣]

شيخ الحرم

يَخفَى عليكَ مقامُ آدمَ في الورى فـالنفسُ مـا نـالَ الإلـه وِصَـالُها[٤]
مـا فـي أذانـك مـن صـباحي دعـوةٌ أو فـي الـصلاة جمالُهـا وجلالُهـا

القدر

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن القضاء يبدو غير تابع للمنطق، ولعل له منطقًا خفيًا. وعلى كل حال نرى حقيقة لا جدال فيها هي أن عين القضاء تنظر إلى مساعي الأمم. فتقضي فيها على قدر مساعيها.

ربمـــا يبلـــغُ اللئـــيمُ مُنـــاه وينـــالُ الكـــريمَ ضـــيمُ الزمـــانِ

---

(١) الآية: وعلم آدم الأسماء كلها.

(٢) في الأصل: العطار والرومي؛ أي فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي، وهما من كبار شعراء الصوفية.

(٣) الذكر يتصل بالحقيقة الإلهية، والفكر في شغل بقياس الزمان والمكان.

(٤) يخفى عليك مقام الإنسان، ولهذا أخلدت إلى الأرض فلم تصل إلى الله.

عـل فـي منطـقِ القـضاء خفـاءً ويُـرَى دون منطـقٍ فـي العيـان
عَلِـمَ النـاسُ ذي الحقيقـةَ طُـرًّا وجلالهـا التـاريخ كـل أوان

نحو مسعى الأقوام يرنو القضاءُ نظرةٌ كالحسام فيها مَضاءُ

التوحيد

قـوَّةٌ كـان في الحياة على الأرض فـصار التوحيـدُ علـمَ الكـلام
رَدَّه فـي الفعـال غيـرَ مـضيء جهلُنـا اليـوم مـا لنـا مـن مقـام
قائـد الجيش! قـد رأيـتُ غمـودًا مِن «هُـو الله» مـا بهـا من حسام[1]
مـا درى الـشيخُ أن توحيـدَ فكـر دون فِعـلٍ، يُعَـدّ لَغْـوَ كـلام[2]
يـا إمامًـا لركعـة كيـف تـدري فـي الـوَرَى مـا إمامـةُ الأقـوام؟

(١) رأيت غمودًا ليس فيها حسام من التوحيد، وفي الأصل: من «قل هو الله» أي: قل هو الله أحد.

(٢) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال، فإن ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل.

obeikandl.com

العلم والدين

العلم وحده عاجز مُضل حتى يتصل به القلب ويصاحبه الإيمان، ويهديه العشق. فإن كان كذلك خلق هو إبراهيمه ليحطم أوثانه التي يصنعها. هذا شأن الحياة لا قديم فيها ولا حديث. والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطل والنسيم لا بد من اشتراكهما في تربية الزهر.

العلم يخلق إبراهيم موثَنه ... إذا تراه نديمَ القلب والنظرِ
هذي الحياةُ وهذا الكون، ما بُدِلا ... ما مُحدَثٌ وقديمٌ قولُ ذي بصَر
ما يُحسِنُ المرجُ تربيبَ الزهور إذا ... لم تَشْرَكِ النسماتُ الطَّلَ في الزَّهَر
العلم إن لم يُضِف نَجْوى الكليم ... رأيِ الحكيم فما للعلم من قَدَر

المسلم الهندي

قال البَرَهْمَنُ: خائنٌ أوطانه ... والإنكليزُ تقول: هذا مجتدى
ونُبُوَّةُ البَنْجاب قالت: كافر ... مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي[1]
أيَّانَ صوتُ الحَقِّ يعلو هاهنا؟ ... ويلٌ لقلبي في الصِّراع المُجهِد[2]

(١) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة في البنجاب.

(٢) هذا الشطر مضمن في الشعر، وقد جاء في الأصل بلفظ فارسي.

على ذكر الإذن بحمل السيف

إذن الإنكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حرم حمل السلاح كله فنظم إقبال هذه الأبيات:

أيها المسلمُ تَدْري اليومَ ما ... قيمةُ الفولاذ والعَضْب الذكَر
هو مصراعٌ من البيت الذي ... مضمرٌ فيه من التوحيدِ سِرّ
وأرى مصراعه الثاني في ... سيفِ فَقْرٍ تحتويه كفُّ حُر
أنتَ يا مسلمُ -إن تظفر به- ... خالدٌ أو حيدرٌ يوم المَكرّ[1]

الجهاد ...

قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد، تقول: إن هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف وتدعو المسلمين إلى السلم. فيأخذ عليهم إقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح في أيديهم، ويتركون الأمم المدججة في السلاح التي تشن الحرب بين الحين والحين.

الشيخُ أفتَى أنَّه عصرُ القلم ... ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأمم
أما دَرَى الشيخُ بأن وعظَه ... في مسجدٍ قد صار من لَغْوِ الكلِم؟
فما ترى السلاحَ كفُّ مسلم ... بل قلبُه من لذَّةِ الموت حُرِم

(١) يريد خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب.

مَـنْ قلبُـه يهـابُ مَـوْتَ كـافرٍ ... فكيـف مِيتـةَ الـشَّهيدِ يَغْـتَم؟ [١]
فعلِّمَـنْ تـرَكَ الجهـادِ طاغيًـا ... مِـنْ كَفِّـهِ يـسيلُ فـي العـالم دَم
أمـا تـرى الغـربَ بـدا مُـدَجَّجًا ... لـيحفظ الباطـلَ فـي عِـزٍّ عَمَـمْ؟
يـا مُفتيًـا علـى الكنـيسِ مُـشفقًا ... قـد حَار فـي أحكامه أُولـو الفَهَـم
الحـربُ فـي المـشرق شـرٌّ داهِـمٌ ... والحربُ في المغرب شرٌّ لا جَرَم
إن يَبْتَـغ الحـقَّ فكيـف حاسـب ... لا الفِـرنْجَ ذلـك الحكَـم؟

القوة والدين

كـم أصَـاب الإنسانَ فـي هـذه الأر ... ضِ مـنَ إسْـكَنْدَرٍ ومـن جَنكيـزِ
ويقـولُ التـاريخُ فـي كـل عـصر: ... خَطَـرٌ فَـرْطُ قُـوَّةٍ لعزيـز
هـي سـيلٌ غُثَـاؤه الفَـنُّ والعِلـمُ ... ومـا أَثَّـلَ الـورى مـن كنـوز
وهـي سُـمٌّ بغيـر ديـنٍ. وبالـدين ... دَواءٌ لكـل سُـمٍّ نَجيـز

الفقر [٢]

الفقـر يمـضى بـلا سـلاح ... فـي حَوْمـةِ الحـرب كـالرجومِ
وكـلُّ ضـرب لـه سـديد ... إن ثـار مـن قلبـه الـسليم

---

(١) يريد بموت كافر الموت في غير جهاد.

(٢) انظر الكلام على الفقر في المقدمة.

حَماسُــهُ قَــصَّ كــلَّ عــصر ... قِــصَّةَ فرعــونَ والكلــيم
يــا غَيــرةَ الفقــر أنجــدينا ... واهــدي إلــى نَهجِــك القــويم
عبــادةُ الغــرب جمــعَ مــال ... تَنْخَــرُ فــي رُوحــه الــسقيم
العــشقُ والــسُّكر مــا أباحــا ... أنْ أَضــبِطَ الــنفسَ فــي همــومي
فعُقــدة الكِــمِّ لــم تُفَــتَّح ... إلا بمَــوجٍ مــن النــسيم[1]

الإسلام

إنَّ نــار «الــذات»، والنــورُ لــديها ... هــي للإســلام رُوح مــستنير[2]
إنَّ نار «الذات»، فاقبس من لظاها ... فــي حيــاة الخَلْــقِ نــورٌ وسُــفورْ
هــي تقــويمُ وجــودٍ وهــي أصْــلٌ ... للتَّجَلِّــي أُخفِيــتْ خَلْــفَ سُــتور
إن قَلَى الغربُ مِنَ الإسلامِ لفظًا ... فلــه اســمٌ آخــرُ: الفقــرُ الغَيــور[3]

(١) كم الزهر لا يفتح إلا بالنسيم، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه.
(٢) روح الإسلام هي الذات نارها ونورها.
(٣) أن نفر الفرنج من لفظ الإسلام، فنحن نسميه اسمًا آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور (انظر الفقر في المقدمة).

obeikandl.com

الحياة الأبدية

يؤكد الشاعر في هذه الأبيات رأيه في الذات أنها مقصد الحياة، وأنها إن قويت واستحكمت لم تمت.

صَدَفٌ لنا هذه الحياة، وذاتنا ... كالقطر من نَيسان في الصَدَفات
ما قيمة الصدف الذي لا يستطيع ... يُحيل قطْرات إلى دُرّات
إن صانت الذات المتينةُ نفسَها ... أعيَتْ على الأيام كلَّ مَمات

السلطان[٢]

السلطان الحق هو أحد شئون الفقر، كما يفسره الشاعر، فهو تجلي «الذات» -ذات الفقير- بالتسلط. وليس السلطان طغيانًا أو بغيًا... إلخ.

تعلمْ؛ فألفُ مقام وشانِ ... لفقر بدا فيه روح القُرَانِ
إذا انْجلت (الذات) في قهرها ... فهذا مقامٌ لملك الزمان
وتوزن في ذا المقام القُوَى ... قُوَى مؤمن تُبتلى بامتحان
وإنك في ذا المقام عظيم ... وظلٌّ من الله في ذا المكان

---

(١) يقال: إن الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة، فإذا نزل مطر نيسان تدخل في كل صدفة قطرة منه فتنطبق عليها حتى تتحول درة. والشاعر يجعل الحياة صدفة، والذات قطرة من نيسان. ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة درة.

(٢) كتب في بهوبال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

وما ذاك بغي وقهر ولكن هو العشق والوجْد ملءَ الجَنان
فما يستطاع بقهر وبغي على الأرض حفظُ الورى في أمان
وأعياك في الدهر حفظٌ لفقرٍ فأصبحت في الرقِّ خِدنَ الهَوان
وكان على الدين سيما سجود تُباري الكواكب مِلء العيان
وكان على الشمس منه سَنًا فهل في نجومك منه معانِ؟

إلى الصوفي

ترى عيناك دنيا المعجزاتِ وفي عيني دنيا الحادثاتِ
ومن دنيا الخيال عجبتَ، فاعجب لدنيا للحياة وللممات
تبدّ لها بنظرة غير واعٍ وكَمْ تدعوك دنيا الممكنات

صريع الفرنج

-١-

من تجلّى الفرنج نلتَ وجودا فهمو منك هيكلا قد أقاموا
ومن (الذات) هيكل التُرْب خالٍ أنت غِمدٌ مذهَّب لا حسام

-٢-

ووجود الإله عندك ريبٌ وأرى الريبَ في وجودك أنتا
إنما الكون جوهر (الذات) يُجلَى فانظرنْ أيُّ جوهر قد دفنتا

التصوف

يقصد الشاعر أن علم الكلام إن لم يصلح الدين فهو لا شيء. وكذلك الذكر الذي لا يحفظ «الذات» والعقل الذي لا يصحبه العشق، والفكر الذي لا يستجيب له القلب.

إن علم اللاهوت في ملكوتٍ ليس للدين آسيا - ليس شيّا
وقيامُ الأسحار في طول وَجْد ليس للذات راعيًا -ليس شيّا
ذلك العقل صاعدًا للثريا ليس بالوجد ساريًا -ليس شيّا
ينطق العقل «لا إله» ولكن ليس بالقلب مسلمًا -ليس[1] شيّا
كلماتي خوافق وسَنا الإصباح لم يبدُ خافقًا -ليس شيّا

(١) أي يقول العقل: «لا إله إلا الله»... إلخ.

الإسلام الهندي

بوحـــدة الأفكـــار تحيـــا أمَّـــة ... ودونهـــا الإلهـــام يُلفَـــى ملحـــدًا[١]
لا تُحفـــظ الوحـــدة إلا بـــالقُوَى ... لـــم يُفلـــح العقـــلُ هنـــا ولا اهتـــدى
يـــا عابـــدًا لـــيس لديـــه قـــوّة ... اذهـــب إلـــى كهـــف وسبِّح واعبـــدا
وهـــات إســـلامًا بـــه تـــصوّف ... إلـــى الـــردى والـــذل واليـــأس هـــدى
للـشيخ في الهند أجيزتْ سجدةٌ ... فحـــسِبَ الإســـلام حُـــرًّا ســـيِّدًا

قطعة[٢]

مـــا القلـــب مـــات، قلـــبٌ ... فـــأَحِي ذا الرميمـــا
يمحـــو الفـــؤاد داءً ... فـــي أمـــم قـــديما
بحـــرُك فـــي سُـــكون ... سُـــجِّر أم أنيمـــا؟
لا وحـــشَ أو هياجًـــا ... أو ســـاحلًا لطيمـــا
وفـــي الـــسماء ســـرٌّ ... لـــستَ بـــه عليمـــا
مـــا هـــاج طـــرفُ نجـــمٍ ... منـــك فتـــى كليمـــا

(١) بغير توحد الأفكار تعم الفوضى. فالإلهام الذي هو سبيل الإيمان يصير إلحادًا.
(٢) عنوان هذه القطعة في الأصل (غزل). والغزل عندهم أبيات قليلة تجمع أفكارًا مختلفة.

obeikandl.com

رمـــى نـــشيدُ صـــبحي أبـــاءَك الهـــشيما[1]
شَـــرارةً أُكِنَّـــت فـــي طينتـــي قـــديما
دُنيـــا غـــدٍ وأمـــسِ يبُـــصرها عليمـــا
مَـــن حـــاز مثلـــى عينًـــا جريئـــة هجومـــا

الدنيا

أنا كذلك أبصر دنيا الألوان التي تشبه بوقلمون، وأعرف الهلال والنجم والسماء والأرض... إلخ. ولكني أرى أن الإنسان وجود حق وما عداه ليس شيئًا.

كـذا كُـم بـدا لـيَ بُوقَلمـونٍ وقلّبـتُ فـي الملكـوت النظـرْ
فهـذا هـلال، وهـذي نجـوم وهـذا عقيـق وهـذا حجـر
وعـينُ البـصيرة أعلمتُهـا فأوحـت إِلـيّ صـحيحَ الخبـر
فهـذا تـرابٌ وتلـك سـماء وذلـك طَـود وهـذا نَهَـر
ولا أكـتم الحـق: أنـت وجـود ولا شـيء مـا سـاح فيـه البـصر

(١) الآباء القصب، وهو سريع الاحتراق. ثم القصب يحرق أحيانًا لإخصاب الأرض، فالشاعر يعني أنه يحرق الأنفس لتزداد حياة.

الصلاة

الأصنام لم تنقطع عبادتها، فلا تزال تظهر بين الناس في صور مختلفة فتعبد ضروب العبادات. فاعلم أن سجود الصلاة الذي يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام.

تلوّنُ في كل ثوب مَناةُ وشاب بنو الدهر وهي فتاةُ
فهذا السجود الذي تجتويه به من ألوف السجود نجاة [1]

الوحي

العقل ظن وتخمين لا تضيء به النفس فلا تنجلي به ظلمات الحياة؛ وإنما إدراك الحسن والقبيح بالوحي. وهذا لا يتاح إلا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها.

ليس هذا العقل ذو الوهـ ـن حريًّا بالإمامهْ
فحياة الظن والتخمين ضَعف وسَقامه
ليس في فكرك نور أو إلى السعي استقامه
كيف يجلو في حياة ذلك الليلُ ظلامه؟
إن لغز الحسن والقبح ليُعيي ذا الفهامه
حين لا تجلو الحياة السـ ـرّ منها مستهامه

(١) تجتويه: تكرهه.

هزيمة

خـلا الـصوفي مـن حُـرَق وكـد ... شـرابُ (ألـستُ) معـذِرةُ البطالـه[١]
وفـــرَّ إلـــى ترهّبـــه فقيـــه ... يَرى في الشرع معتركَ البساله[٢]
إذا خـشي الرجـال وغَـى حيـاة ... فتلـك هـي الهزيمـة لا محالـه

العقل والقلب

سـيطر العقـلُ علـى الكـون أميـرًا ... وطـوى الأفـلاكَ والأرضَ مـسيرا
ذا جـلالٍ يخـضع الكـون لـه ... غيـرَ قلـب ثـار بالعقـل جـسورا

سكر العمل

فـي طريـق الـصوفي سُـكرُ الحـال ... وطريـقُ الفقيـه سُـكرُ المقـال
ونـشيد الـشِعْر المرجَّـع مَيْـت ... خامـدُ اللحـن لـم يُـشَب بجمَـال
بـين نـوم ويقظـةٍ غيـرُ صـاح ... بَـين سُـكر الأفكـار والبَلبـال
وبنفـــسي مجاهـــدٌ لا أراه! ... فيـه سـكر الأعمـال لا الأقـوال

---

(١) يوم الست أو عهد «الست» إشارة إلى الآية: {ألست بربكم}. فالصوفي في سكر بذكرى ألست يتعلل به ويعتذر لبطالته.

(٢) لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد وكفاح فرَّ إلى الترهب.

القبر

فكرة الشاعر أن النفس القوية المجاهدة لا تسكن في الحياة ولا بعد الموت. والقلندر أو القلندري الحر الذي لا يركن إلى سكون، ولا تقيده رغبة أو رهبة (راجع المقدمة).

لا يجد القندري راحة وإن ثوى بقبره تحت الثرى
سكينةُ الأفلاك في الضريح لا فساحةُ الأفلاك أو طولُ السُرى

همة القلندر

يقول للزمان ذلك الفتى: امض إلى حيثُ يسير المؤمنُ
مالك في معتركي مِن طاقة حذار من قلندر لا يُذعن
إذا طغى اليم فهيَّا أقدمِنْ ما حاجتي مَلاحه والسفُن
لقد محا سحَرك تكبيري فهل تَقْوَى على جحوده يا وَهِن؟

يحاسب الأفلاكَ ذا القلندرُ وقاهرٌ أيامَه لا يقهَر

الفلسفة

لـيس يخَفـى علـى القلَنْـدر فكـرٌ ... سـاوَر الـنشءَ ظـاهرًا أو خفيّـا[1]

أنـا عنـدي بكـل حالِـكَ خُبـرٌ ... فبهـذا الطريـق سـرتُ مِليّـا

لا يقيم الحكيمُ في شَرَكِ اللفظ ... ولا بـالحروف كـان حفيّـا

لـيس همُّ الغـوّاص أصدافَ بحرٍ ... يبتغـي الغائـصون دُرًّا بهيّـا

إن فـي حلقـة المجـانين عقـلًا ... فـي شَـرار يـرى لهيبًـا مـضيّا[2]

إن أغلـى مـن الجـواهر، معنـى ... صـدّق القلـبُ سـرَّه مطويـا

فلسفاتٌ مـا سـطرت بـدم القلـب ... مَـواتٌ أو للممـات تُهيّـا

رجال الله

إنمـا الحـرُّ مـن يُجيـد ضِـرابًا ... لا الـذي حربُـه تـدور هُـراءَ

وسـجايا الأحـرار تجمـع تاجًـا ... ذا سـناء، وخرقـةً وقَبـاء[3]

مـن خفايـا تُـرابهم أخـذ الـدهرُ ... شَـرارًا فـصاغ منـه ذُكـاء

فِطـرة حـرّة تعـاف الـدنايا ... من طَواف الأصنام عاشت بَراء

---

(١) القلندر هنا إقبال نفسه.

(٢) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة في مظاهر صغيرة، فيرى في الشرارة لهيبًا عظيمًا.

(٣) سحية الحر فيها عظمة الملك وفيها خلق الصوفية لابسي الخرقة، وفيها فقه العلماء لابسي القباء.

أنـت فـي الكفـر والتـديّن جَمْعـا وثِنـيّ تُقـدّس الأهـواء[١]

الكافر والمؤمن

يكرر الشاعر هذا المعنى كثيرًا: إن المؤمن مسيطر على الكون يتصرف فيه، لا يضل فيه ولا يحار، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير، وأن غيره مقهور في الكون حائر، تتلقفه أحداثه، وتقلبه غيره.

والفكرة مأخوذة من مثنوي جلال الدين الرومي. فقد قص المثنوى قصة افتقاد حليمة الرسول في طفولته وطلبها إياه والهة، وأن جبريل لقيها فقال لها: لا تخشي عليه أن يتيه في الآفاق، فهذه الآفاق تتيه فيه:

أمـسِ عنـد البحـر قـال الخـضر لـي قـولا أعيـهْ[٢]
تبتغـي الترياق مـن سـمّ فـرنج تتقيـه؟
فخُـدن قـولًا سـديدًا هـو بالـسيف شـبيه
ذا مـضاء وضـياء خبـرةُ الـصيقل فيـه:
إنمـا الكـافر حيـرانُ لـه الآفـاق تيـه
وأرى المـؤمن كونًـا تاهـت الآفـاق فيـه

(١) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام وأنت في إيمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها.

(٢) يروى أن الخضر صاحب إسكندر حتى بلغا أرض الظلمات، وفيها عين الحياة فشرب منها الخضر فخلد ولم يهتد إليها إسكندر. فينسب الشعراء إلى الخضر المعرفة والحكمة، ويقولون عنه ما يشاءون.

المهدي الحق

كلٌّ ثَوى في مَحبِس من صُنعه: سيَّارُ إفرنج وثابتُ مشرقِ[1]

والشيخ في حَرم وحَبر كنيسة لا جِدّةٌ في القول أو في المنطق

أهلُ السياسة في شِراك قديمهم والشعرُ أفلس في خَيال مُغلَق

مَن لي بمهديٍّ له نظر يزلزل عالم الأفكار، غيرَ مُمخرِق

(١) الفرنجي الدائب في العمل كالكواكب السيار، والشرقي القاعد عن السير كالكوكب الثابت.

obeikandl.com

المؤمن

-١-

في الدنيا

مع الصحب لَيْن كمسِّ الحرير ... بَعيدٌ من المَحَكِ، المؤمنُ[1]
حديدٌ إذا ما طغى باطل ... جريء لدى المَعْرَك، المؤمن
من الطين، لكن على الطين يسمو ... ويأبى على الفلَك، المؤمن
وما همُّه صيدُ طير ولكن ... يصيد من الملك، المؤمن

-٢-

في الجنة

تقول الملائك في غبطة: ... حَبيبٌ إلى قلبنا، المؤمن
وللحور شكوى إلى ربها: ... سريعٌ إلى هجرنا، المؤمن

(١) القافية مردوفة بكلمة «المؤمن» والروي الكاف التي قبلها.

محمد علي الباب

ناقش جماعة من العلماء في إيران محمد علي المسمى الباب، فقرأ من القرآن فلحن في إعراب السماوات؛ فضحك الحاضرون فقال: إن بشرى أمامتي تحرير الآيات من الأعراب.

أجاب (البابُ) في حفل ... مفيضا في مقالاتِ
وفات الشيخَ توفيقٌ ... بإعراب (السماوات)
سرَتْ في الحَفْل غلطتُه ... فلاقوه ببسمات
فقال (الباب): لم تَدروا ... وفاتتكم مقاماتي
ثوى القرآن بالإعراب ... في حَبس وإعنات
وإن إمامتي جاءت ... بتحريرٍ لآيات

القدر [1]
الخالق وإبليس

إبليس: يا إلهًا أمره كن ... ليس عنه من مَحيدْ
لم يُصَب آدمُ مني ... بعدوٍّ أو حسود
ويل غرٍّ، من زمان ... ومكان في حدود
كيف أستكبر عن ... أمرك أو كيف أحيدْ
كان في علمك أني ... حائد عن ذا السجود

***

الخالق: هل عرفت السر هذا ... قبلَ أو بعدَ الجحودْ؟
إبليس: بعدُ! يا مَن مِن تجلّيه ... كمالاتُ الوجود
الخالق (ناظرًا إلى الملائكة)

خسَّةُ الفطرة فيه ... علمته ذاك عذرا
قال: ما شئتَ سجودي ... أنا لا أملك أمرا
ذلك الظالم سَمِّي ... اختيارًا فيه جَبرا
إنه سَمى رَمادًا ... شُعلة فيه وجَمرا

---

(١) مأخوذة عن محيي الدين بن عربي.

أي روح محمد!

يصف الشاعر في هذه الأبيات غمه وحيرته، فالأمة الإسلامية انفرط عقدها، وفي صدره موج ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم فيخلط به هذا الموج. وهو حاد ولكن لا زاد له ولا قافلة يحدوها. وأمامه فياف هائلة. وهو حفيظ على آيات الله يبتغي أن يسير بها. فهو يلتمس سبيله في هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب.

أرى الملة البيضاء بُدِّد نظمُها ... فمسلمَك انظر حاله، أين يذهب؟
وليس ببحر العُرب لَذَّة ثَورة ... وفي الصدر موج غاله، أيْن
ولا ركبَ للحادي ولا زادَ عنده ... وقطعُ الفيافي هاله، أين يذهب؟
فبيّن لنا الأسرار روح محمد! ... حفيظٌ لآيٍ، يا له، أين يذهب؟

مدنية الإسلام

الجنون هنا معناه الحماس للعمل والإقدام في غير مبالاة. فحياة المسلم في رأي الشاعر تجمع العقل والأقدام. وهي كالشمس تغرب لتطلع. وهي فذة لا نظير لها ولكنها كالزمان في شئون متعددة. وهي قائمة على الحقائق وجامعة عناصر الجمال والقوة.

حياةَ المسلم اعرف في بياني ... كمالُ العقل فيها والجنونُ
سنًا كالصبح مَغرِبه طُلوعٌ ... وحيدٌ، كالزمان له شئون

ولا كالعصر، خِلوٌ من حَياء ولا فيها من الماضي فتُون
حياةٌ بالحقائق في قَرار وليستْ ما يُطلِسم أفلَطون[1]
عناصرُها يؤلفُها جَمال تمثّل فيه جبريل الأمين
وحسنُ الخَلْق من عُجْم لديها ونارُ العُرب فيها والشجون

الإمامة

يقصد إقبال من ادعوا الإمامة في الماضي وفي عصره. ويرى أن الإمام من يعلو بأصحابه عن قيود الحاضر المشهود إلى عالم المعنى الفسيح غير المحدود... إلخ.

أتسألني: الإمامةُ ما مَداها؟ حبَاك الله مثلى بالخفايا
إمامُ العصر حقًّا من تراه فتسأمُ ما تشاهد في البرايا
بمرآة الممات يريك وجه الـ ـحبيب فتجتوي عيش الدنايا
ويُشعرك التخلفَ عن كمال فينفخُ فيك مشبوبَ السجايا[2]
يُمِرُّ عليك من فقر مِسَنًّا فيطبعُ منكَ سيفًا للمنايا
فُتون الملة البيضا إمام كأن المسلمين به سبابا[3]

(١) ليست قائمة على أفكار أفلاطون التي ترى الحقائق في عالم المثل لا على هذه الأرض.
(٢) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال.
(٣) فتنة الملة الإسلامية إمام يمكن أصحاب السلطان من إذلال المسلمين.

obeikandi.com

الفقر والترهب

يشيد إقبال بالفقر، وينسب إليه المعجزات. وهو فيما يؤخذ من كلامه -التحرر من الطمع والحرص، وألا يملك الإنسان ما يمكله فيذله ويصده عن الحق والخير. وهو لا يشبه الرهبانية في شيء. فمن حسب الفقر رهبانية فإسلامه غير الإسلام الذي يعرفه الشاعر.

إسلامك الموهومُ شيء آخر؛ الفقر عندك كالترّهب يظهر
شتَّانَ، فانظر، بين خَلوة راهب وشِراع فقر في عُباب يمخُر
في الروح والأبدان يبغي جلوةً فنهاية الإيمان (ذاتٌ) تبهر[1]
هو صيرفي الكائنات وجوده فعن الفناء أو البقاء يخبر[2]
فاسأله عما ترتئيه أعالمَ أم مود رائحة ولون يزخَر؟
لما أضاع المسلمون على المدى ذا الفقر -لما ضاع هذا الجوهر
لم يبق فيهم من سليمانٍ ولا سلمانَ دولةُ عِزَّة لا تُقهر

(١) الضمير في «يبغي» يرجع إلى الفقر، وهو يطلب تجلي الروح والجسم. وتجلي الذات هو مقصد الإيمان.

(٢) هذا الفقر ينقد الكائنات فيقول هذا للفناء وهذا للبقاء، وهذا حق وهذا باطل.

قطعة[١]

متاعُـك فـي الحيـاة فنـونُ علـم ... تظَـلّ الـدهرَ منهـا فـي حُبـور
ومـا عنـدي متـاع غيـرَ قلـب ... طمـوحٍ مـا أراه بالـصبور
لأهـل الفكـر معجـزة تَجلَّـت ... بفلـسفةٍ معقَّـدة الـسطور
وأهـلُ الـذكر شـادوا معجـزات ... علـى موسَـى وفرعـونٍ وطـور[٢]
أقـول لمـسلم: مـا فيـك صـدر ... لأنفـاس بهـا حَـرّ النـشور
ومزقـتُ الجيـوبَ وأنـت خـالٍ ... جُنوني -لا ألومك- في قصور[٣]
أقـلَّ القـولَ وافـتح عـين قلـب ... ولا تـكُ مهـذرًا عنـد البـصير
ومـا إن ذلَّ قـوم قـد أعـدوا ... حَمـاس العـشق والفقـرِ الغَيـور

(١) عنوان هذه القطعة في الأصل «غزل» والغزل في عرف شعراء الفرس ومن تقيلهم، أبيات قليلة في موضوع أو موضوعات. وربما لا تشتمل على شيء مما يسمى بالغزل في الشعر العربي.

(٢) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون، فلهذا نكرت الاسمين وصرفتهما.

(٣) يعني: إني لم أصيرك مثلي مجنونًا؛ لأن جنوني لم يكمل فلم يؤثر فيك، فاللوم علي لا عليك.

التسليم والرضا

على كل غصن تبيّن أن النبـ ـبات مَشوقٌ لرحل الفضاء
فما قرَّ في ظلمة التُرب حَبّ جُنونُ النشوء به والنماء
فلا تَبغِ في فِطرة تركَ سعيٍ فما ذاك معنى الرضا بالقضاء

لأهل النماء فضاءٌ فسيحُ
وما ضاقَ مُلك الإله، فسيحوا

نكتة التوحيد

بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته في الترجمة، والروي حرف النون في موثنا ومطعنًا... إلخ.

إن سر التوحيد طوع بَياني شِدتَ في الرأس موثَنا، ما
رمز شوقَ بلا إلاه خفيّ ليس في الفقه بيّنا، ما احتيالي؟
كم سرور في حرب حق وزور لستَ في الحرب مِطعنا، ما
كم تُجلّى الآفاقَ نظرةُ حرّ حجب الرقّ أعينا، ما احتيالي؟
أيُّ مُلكٍ مَقامُ فقرٍ! ولكن تؤثر الذلَّ مُذعنا، ما احتيالي؟

---

(١) يمكن أن يبين سر التوحيد، ولكن ما حيلتي وقد بنيت في رأسك معبدًا للأوثان. وقد وضعت كلمتي مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن، ترجمة لكلمتي بت كده، بتخانه ونحوهما.

(٢) كم سرور في مجاهدة الباطل بالحق في هذه الحياة.

الإلهام والحرية

إن للحُـــرِّ ملهَمـــا نظـــراتٍ ... تحفِـــز القـــولَ والفِعـــالَ بنـــار
حَـــرُّ أنفاســـه يَـــشيع بـــروض ... فترى الـروض مُزهِـرًا مـن شَـرار
يَهـــبُ العنـــدليبَ سِـــيرةَ بـــاز ... كيـف حالـت طبـائعُ الأطيـار؟
يَمـــنحُ المجتـــدين شَـــوكةَ جـــمّ ... عـارفُ الـنفس والـهُ الأسـحار[1]
ووقـــى الله حكمـــةً لـــذليل ... مثـل جنكيـز طـالعٍ بالـدَّمار[2]

الروح والجسم

يقول إقبال في هذه الأبيات: إن همي في هذه الحياة القلق والثورة والسرور والحزن، وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة.

تحيّر الناس في ذا اللغز من قدم: ... ما جـوهر الـروح أو مـا جـوهر
ومشكلي في اضطراب بي وفي ... وثـورة وسـرورِ الـنفس والحـزن
ومشكلٌ لك أن الخمر من قدح ... أو أنَّ مـن خمـرة كأسًـا، لـذي
ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الروح ... جمـرٌ بـدا فـي رَمـادٍ منـه للفَطِـنِ

---

(١) جم: جمشيد أحد ملوك الفرس في الأساطير.

(٢) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز.

(٣) الزكن: الفطنة.

لاهور وكراجي

روي أن هندوكيًا في لاهور اسمه راجبال أساء الأدب في الحديث عن الرسول صلوات الله عليه، فذهب إليه مسلم اسمه علم الدين وقتله في غير ضوضاء، وأن رجلًا من الهنادك في كراجي فعل فعله فذهب إليه مسلم من كوهات في غير مشاورة ولا مؤامرة فقتله. وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب، فكتب إقبال الأبيات:

قد تولى الله عبدٌ ... مسلم ما آمرا
هو بالموت إلى عا ... لَم روحٍ سافرا
كيف تَفْدون شهيدًا ... لخلود آثرا
دَمُه من حَرَم أعلى ... وأغلى جوهرا[1]
آه للمسلم غفلانَ ... نَسِيّا ما دري:
سرَّ «لا تدع مع الله ... إلهاً آخرا»[2]

(١) يعني أن كل ما تبذلون لا يساوي دم الشهيد... إلخ.

(٢) الآية: {فلا تدع مع الله إلهًا آخر فتكون من المعذبين} سورة الشعراء.

النبوّة

يعني الشاعر بهذه الأبيات من ادعى النبوة ودعا إلى المسالمة والكف عن الجهاد.

لستُ المحدِّثَ والفقيهَ ولا الوليّ ولا المجدِّد
لا علم عندي بالنبوّة كيف توصف أو تحدَّد
لكن إلى الإسلام في الأيام لي نظر مسدد
أوحى إليَّ بسرّه الفلكُ المحيط فلا أفنَّد
فرأيت في ظلمات هذا العصر ذا الحق المؤيَّد:
عندي حشيش المسلمين نبوّةٌ فيهم تجدَّد
ما إن لديها دعوة للبأس والمجد المخلّد

الإنسان

ذا طِلَسْمُ الكَون والعدمِ سُمِّي الإنسانَ من قِدَم
هو سرُّ الله جلَّ فلا يحتويه الوصفُ في كَلِم
إن هذا الدهرَ من أزلٍ من سِفارٍ باء بالسَّقَم
ومضى الإنسانُ سيرتَه لم يُصَب بالضعف والهَرَم
وإليك السرَّ أعلنه إن تَسَعْه غيرَ متَّهِم:
ما بدا روحًا ولا بدنا ذلك الإنسان للفَهَم

مكة وجنيوا

كم حديثٍ عن الشعوب سمعنا ... وحدةُ الناس حجبت عن عيانِ
حكمةُ الغرب فُرقة الناس والإسـ ... ـلام فيه توحُّدُ العُمران
ومقالٍ من مكةٍ لجنيوا ... قد وعاه اللبيب في كل آن:
خبّريني اليقين: هل عصبة الأقـ ... ـوام خير أو عصبة الإنسان؟

يا شيخ الحرم

ودّعِ الخلوةَ يا شيخ الحرم ... واسمعنْ في الفجر منّي ذا النغَم
يحفظ الله لك الفتيان في ... حُكمِ نفسٍ، واشتعالٍ في الهمم
هُمْ عن الغرب زجاجًا أخذوا ... علمَنهم صَدمة الصخر الأصم
طولُ ذلّ أظلم القلبُ به ... أدرِك الحيرانَ في هذي الظلم
في جنوني منك أسرار بدت ... فاجزني يا شيخ عن هذا اللمم[1]

(١) يعني أن نشوته وولهه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم، فأفشياها فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون.

obeikandi.com

المهدي

كتب سبنجلر يقول: إن ضعف المسلمين من إيمانهم بالقدر والمهدي. فرد إقبال بأن هاتين العقيدتين غريبتان عن الإسلام. وكتب مولانا أسلم جرا جبوري يأخذ على إقبال أنه يذكر المهدي في شعره أحيانًا. فكتب إقبال هذه الأبيات يبين رأيه في عقيدة المهدي، ويذكر أنه يتوسل بها أحيانًا إلى نفخ الحياة في موتى الأحياء.

أرى الأقوام تمضي في حياة ... على قدر التخيّل في الحياة

فمجذوب الفرنج على خيال ... من المهدي قاد إلى النجاة[1]

فإن تنفر من المهدي ينَفرْ ... غزال المسك من هذي الفلاة[2]

إذا ما الحيّ من جَهل تردّي ... بأكفان وأغرَقَ في سُبات

أتُسلِم ذا الجهولَ إلى الردى أم ... تمزِّق عنه أثوابَ الممات؟

---

(١) يعني الفيلسوف الألماني نيتشه الذي تكلم عن الإنسان الكامل.

(٢) يعني أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة، وتحمل ما يحمله غزال المسك في الفلاة فلا تحرم الناس منها.

المؤمن

إن للمـــؤمن العجيـــب الـــشانِ ... كـــل حـــين جديـــدَ شـــانٍ وآنِ

هـو في قوله السديد وفي الفعل ... علـــى الله واضـــحُ البرهـــان

فيـــه قدســـيةٌ إلـــى جبـــروتٍ ... ومـــن القهـــر فيـــه والغفـــران

إن تُؤلَّـف هـذي العناصـرُ كـان ... المسلُم المستعلى على الحِدْثان

هـو تُـربٌ سـما يجـاور جبريـل ... ويـأبي الحلـول فـي الأوطـان

لـــست تـــدري بـــسرِّه فتـــراه ... قارئـــا وهـــو صـــورة القـــرآن

فيـه عـزم علـى القـضاء دليـل ... وهـو فـي العَـالَمين كـالميزان[1]

هـو بَـرد النـدى بقلـب شـقيقٍ ... وبقلـــب البحـــار كالطوفـــان[2]

ليلـــه والنهـــار لحـــن حيـــاة ... فـــي انـــسجام كـــسورةِ الـــرحمن

إن فكـــري مطـــالع لنجـــوم ... نجمك اعرف طلوعه في بياني [3]

---

(١) يقول إقبال في مواضع كثيرة: إن عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر، وأن رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد في الحياة. وهنا يقول: إنه ميزان الأعمال في الدارين الدنيا والآخرة.

(٢) هو تارة كالندى يبرد قلب الشقائق، وتارة كالموج الهائج في البحر...

(٣) يقول: أيها الباحث عن مستقبله في طوالع النجوم هلم أدلك على أسباب السعادة، فإن فكري يطلع نجومًا صادقة تدل على السعد والنحس.

المسلم البنجابي

عرف أهل البنجاب بكثرة النحل والدعوات المبتدعة.

مجـدّد فـي كـل حـين مـذهبًا ... يحـلّ فـي مرحلـة ليركبـا
فـي حَلبـة التحقيـق نِكـسٌ وإذا ... قـامره داع غـوي غُلِبـا
حِبالـة التأويـل إن تُنـصَب لـه ... هـوى مـن العُـشِّ إليهـا مُعجَبـا

الحرية

ينعي إقبال في هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون في الإسلام وحضارته، فإذا عرضت أوربا وحضارتها خنعوا لها فكرًا وفعلًا.

ألا من يطيق اليوم نُصحًا لمسلم ... وحريـةُ الأفكـار مـن ربِّـه أمـر
مـن الكعبـة اجعـل بيـت نـار وإن ... فمـوثَن أفـرنج بـه الـزور والـسحر
وإن شـئت فـالقرآن تأويـلُ لاعـب ... فجـدّد لنـا شـرعا يلائمـه العـصر
رأيـتُ بـأرض الهنـد أي عجيبـة ... فإسـلامها عبـد ومـسلمها حـرّ

نشر الإسلام في بلاد الإفرنج

هـذي الحـضارةُ مـا تـديَّن قلبهـا ... فـــأخوّة الإفـــرنج بالعَـــصَباتِ
فلـئن تنـصَّر برهمـيٌّ لـم يـزَل ... للإنكليـــز إليـــه نظـــرةُ عـــات
وَلـوَ أنَّهـم قـد أسـلموا لـم يرفقـوا ... بالمـسلم المنكـود مـن إعنـات[1]

لا وإلا

يرى إقبال أن الحياة محو وإثبات أو هدم وبناء. فالأمة الصالحة تمحو السيئ وتثبت الحسن. وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله. فإن محت الأمة ولم تثبت أو هدمت ولم تبن فعاقبتها الفناء. وهو يعني هنا حضارة أوربا عامة والروس الشيوعيين خاصة.

لو لـم تِسر في ظلام التُرب نابتةٌ ... ما نشّرت في فضاء النور أغصانا
تقضى الحياة بـ«لا» في البدء نافية ... وفـي النهايـة «إلا» تُكمـل الـشانا
إن لـم تجـيء بعـدها «إلا» مثبّتـة ... كانت على الموت «لا» في الدهر
إن أمـة روحهـا لـم يمـض معتزمًـا ... عن «لا» فقد آذنت بالهُلك إيذانا

(١) لو أن الإنكليز أسلموا لم يحسنوا معاملة المسلم.

obeikandl.com

إلى أمراء العرب...

العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام وعلمتها الأخوة والتعاون. والشاعر ينعي على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها وكانوا أحق بها وأهلها.

هل يُسْعدُ الكافرَ الهنديَّ منطقُه ... مخاطبًا أمراءَ العُرب في أدبِ
مَن أمَّة قبل كل الناس قد أخذتْ ... بحكمة فأعانتها على النُّوَب:
إخاءُ مصطفويّ دون تفرقة ... وهجرُ كلّ غوي من أبي لهب
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤُها ... من أحمدِ العُربِ كانت أمةُ

الأحكام الإلهية

إقبال يؤمن بحرية الإرادة، وينفر كل النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث. وفي هذه الأبيات يقول: إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها، وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبرًا. وهذه الفكرة تلقى قارئ شعره في مواضع كثيرة.

قيدَ القضاء تَرى أم قيدَ أحكام ... ما أعجزتْ هذه أربابَ أفهامِ
في كل حين ترى التقديرَ في غَير ... رهينُها بين لذّات وآلام[1]

(١) عالم الطبيعة والحادثات في تغير مستمر، فمن خضع له تداولته اللذات والآلام.

إن النبـات وإن الجامـدات لهـا ... مـن القـضاء قيـودٌ ذاتُ إحكـام
والمـؤمن الحـر لا شـيءٌ يقيِّـده ... لكـنْ لخالقـه فـي قيـد أحكـام

الموت

يرى الشاعر أن القلب الحي لا يموت فهو حي بعد الموت طموح طلعة لا يرضى بالسكون والقرار؛ وإنما حياة القلب في رأيه بقوة الذات (خودي). والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم.

فـي اللحـد أيـضًا يبقـى ... الغيـابُ والحـضور
إن يـك قلـبٌ حيًّـا ... فالقلـب لا صـبور
هـذي النجـوم تمـضي ... كـشَرَر يطيـر
والـذاتُ فيهـا راحٌ ... فـي أبـد سُـرور
إن مـسَّ جـسما مـوتٌ ... واحتجـب الظهـور
فللوجـود قُطـب ... مَنـاله عـسير

قم بإذن الله

في هذه الأبيات يبشر إقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ويقول: تغيرت الدنيا ولكن الأرض والسماء كما كانتا. وكلمة «قم بإذن الله» مكررة بلفظها في الأصل.

إنْ تَحُل دنيا فلم تَفْنَ أرضٌ ... وسماءٌ، قم بإذن اللهِ

مِنْ «أنا الحقُّ» انطوى فيك قلب ... ومَضاءٌ، قم بإذن الله[1]

لا تُرعَ مما ترى؛ لفرنجٍ ... سِيمياء، قم بإذن الله[2]

(١) يرمز إلى قصة الحلاج الصوفي الذي قال أنا الحق. يقول للمسلم: فيك روح تنتسب إلى الأرواح العظيمة.

(٢) لا يرعك ما يحيط بك من فتن الأفرنج فهي سيمياء لا حقيقة لها.

obeikandl.com

القسم الثاني
التعليم والتربية
المقصود[١]

يبين هنا الشاعر رأى اسبنوزا الفيلسوف ورأى أفلاطون ورأيه هو في المقصود من هذه الحياة.

سبنوزا:

يبصر العاقل الحياةَ وليست ... غيرَ نور وجلوة تُستَحبُّ

أفلاطون:

يبصر الموتَ عاقلٌ، فحياة ... كشرار بجنح ليل يشبّ

ما إلى الموت والحياة التفات ... مقصدُ الذات رؤية الذاتِ

---

(١) كتبت في بهوبال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

(٢) هذا رأي إقبال.

obeikandl.com

إنسان هذا العصر

حُـــرم العـــشقَ وللعقـــل بـــه نكَـــزات كـــشجاع يثـــأرُ[1]
تبـــعَ العقـــلَ شـــرودًا ســـادِرًا مـــا هـــدى العقـــلَ لديـــه بـــصَر
لـــم يـــسافرْ فـــي دُنَـــى أفكـــاره وعلـــى الأفـــلاك دام الـــسفر
هـــو مـــن حكمتـــه فـــي شَـــركٍ غـــابَ عنـــه نفعُـــه والـــضررُ
مَـن شُـعاع الـشمس فـي قبـضته مـــا بـــه ليـــلُ حيـــاة يُـــسفِرا!

أمم الشرق

كيـــف تُجلـــى حقـــائقٌ لعيـــون عَميـــتْ بالخـــضوع والتقليـــد
كيف يُحيى الفرنجُ عُرْبًا وفُرْسًا بفنـــونٍ تـــسير نحـــو اللحـــود

التنبه

في هذه الأبيات ينعي إقبال أيضًا على الإنسان اهتمامه بعالم الطبيعة وإهماله نفسه ويقول: إن تقوية الذات وتقديرها يعين الإنسان على الحادثات ويبصره الجميل والقبيح في البصيرة، والحلال والحرام، حلال القلب وحرامه (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون).

نظـر المـنجّم فـي حِبـاك نجومـه لكـنْ مَقـامُ الـذات عنـه يُـسْتَر

(١) النكزة عضة الحية. والشجاع نوع من الحيات.

مَـن يَـدرِ أن الـذات أرفـع منـزلًا عَـرف الزمـان وصـرفه لا يُقهَـر[١]
وجميـلَ أنظـار يـرى وقبيحهَـا وحـلالَ قلـب والمحـرَّم يُبـصِر

مصلحو الشرق

يأخذ الشاعر على مصلحي الشرق أنهم لم يخرجوا للناس شيئًا، وأنهم لم يستمسكوا بالسنن الصالحة القديمة ولا أخذوا بالسنن الحديثة.

يَئِستُ فـلا أرجِّـي فـي أنـاس لهـم فـنٌّ كفـنِّ الـسامريِّ[٢]
سُـقاةٌ فـي رُبـوع الـشرق طـافوا علـى النـدَماء بالقَـدح الخلـيّ
سـحابٌ مـا حـوى برقًـا قـديمًا ولـيس لديـه مـن بـرقٍ فَتِـيّ

الحضارة الغربية

أرى تثقيـــف إفـــرنج فـــسادَ القلـــب والنظـــر
فَـــروح حـــضارة لهـــمُ خلـــت مـــن عفـــة الـــوطر
إذا مـــا الـــروح جانبهـــا جمـــالُ الـــصفو والطهُـــر
فـــأين جمـــالُ وجـــدانٍ ولطـــفُ الـــذوقِ والفِكَـــر

(١) ارفع منزلًا من الفلك.

(٢) السامري الذي صنع لقوم موسى عجلًا من الذهب ودعاهم إلى عبادته، فنه سحر وضلال.

أسرار ظاهرة

قال موسوليني لإقبال حين لقيه: من ملك الحديد ملك كل شيء. فأجاب إقبال: من كان هو حديدًا فهو كل شيء. وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من الأبيات التالية.

ما بهم حاجةٌ إلى السيف قومٌ ... من حديد يُصاغُ فيهم شبابُ
أين منكَ الأفلاكُ؟ إنك حُرٌّ ... وهي قَهْرٌ ذهابها والإياب
ما اصطحاب الأمواج؟ لذَّةُ سعى ... واللآلي يصوغها الوهاب
ليس يَهوي الشاهينُ من طول ... يا أخا العزم لا ينلْك التراب

وصية السلطان تيبو

السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين في ميسور جنوبي الهند. وقد حارب الإنكليز زمنًا طويلًا، وحاول أن يؤلب عليهم دولًا إسلامية. ويتفق مع نابليون، وكان في مصر حينئذ؛ فجمع له الإنكليز ما استطاعوا. فلما يئس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣هـ.

وهو عند إقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه.

وفي هذه الأبيات أصول من فلسفة إقبال:

يدعو إلى السير الدائب وهجر المحمل ولو في صحبة ليلى، وإلى المضي والتقدم والنماء، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرًا، وإلى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الإنسان فيه، وإلى أن يحرق الإنسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارًا، وألا يذل القلب للعقل.

طاوىَ البيداء شوقًا! أقبِلنْ ... لا تعرّج، منزلًا لا تقبَلنْ[1]
لا! وإن سار بليلي محمِلٌ ... فامض شوقًا، محملًا لا تقبلن
جدولَ الماء! تقدم مُسرعًا ... واغُد نَهْرًا، ساحلًا لا تقبلن
لا تَحَرْ في مَضمَ الكون وسرْ ... في البرايا، ضَللا لا تقبلن
يا مُذيبَ الحَفلِ! لا تقبل له ... حُرقة، كن مِشعلًا، لا تقبلن
كل قلب ذل للعقل فقد ... قال ربي أزلًا: لا تقبلن
وحد الحقُّ وثني باطلٌ ... شَوْبَ حقٍّ باطلًا لا تقبلن

(١) القافية مردوفة والروي اللام في منزلًا وساحلًا... إلخ.

قطعة

إلى عَصبَات العُرب ما أنا منتمٍ ... ولست بهندي ولا أنا أعجمِي
فقد علمتني (الذاتُ) تحليقَ نافرٍ ... يَمر على الدارَين غيرَ محوِّم
بعينك أني كافرٌ غير مسلم ... وأنت بعيني كافر غير مسلم
فدينُك تعدادٌ لأنفاس مُحجِمٍ ... ودينيَ إحراقٌ لأنفاس مقدم[١]
تبدَّلتَ فالتبديل في الشرع حكمة ... فليس يُطيق الظبيُ شِرعة ضيغَم[٢]
فلست أرى في بيدِك اليومَ جنّةً ... تشب بهذا العقل نارَ التقدم[٣]
إذا حاد عن نار الحياة منغِّم ... فموتُ شُعوبٍ لحنُ هذاالمنغِّم[٤]

اليقظة

خِدنُ حق تنبهت فيه (ذات) ... كالحسام المصمم البرَّاقِ
نظراتٌ لديه تُشرِقُ فيها ... ما انطوى في الذرَّاتِ من أشراق
إيهِ عبدَ الآفاق! كيف تداني ... رجلَ الله صاحبَ الآفاق
أنت في البرِّ قاعدٌ عن طِلابٍ ... وهو في البحر محرَم الأعماق

---

(١) أنت تدين بالسكون والأحجام فحياتك عد أنفاس، وأنا أدين بالجد والإقدام فحياتي إحراق أنفاس.

(٢) كرر إقبال هذا المعنى، يقول: إن الجماعة إذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة، فهي تعمل في تبديلها بدل أن تبدل نفسها.

(٣) يرمز إلى هيام مجنون ليلى في البيداء. والجنون في شعر إقبال الإقدام في غير مبالاة.

(٤) إذا لم تكن الألحان ناطقة بحرقة الحياة وكدها فهي مميتة للهمم.

تربية الذات

ربِّ «الـذاتَ» بالرعايـة تُبـصرْ (كـفٌّ تُـرب) يُـشيع فـي الكـون
إن سـرَّ الكلـيم فـي الـدهر بِيـدٌ وشُـعيبٌ والرعـيُ ليـلَ نهـارا[٢]

حرية الفكر

بحريـة الأفكـار هُلـك جماعـةٍ إذا لـم يكـن فيهـا تَـدَبُّرُ عـالِمِ
فحريـة الأفكـار فـي رأس جاهـلٍ طريـقٌ لِـرَد النـاس مثـلَ البهـائم

حياة الذات

إن الـذاتُ حيَّـتْ فـالفقير مملَّـك ترى طُغرلا أو سنَجَرالا يشاكلُ[٣]
إن الذاتُ حيَّت فالبحار ضحاضح إن الذاتُ حيَّت فالحزون مخاملُ
ترى في الحياة الوحشَ قاهر لجه وفي موته موج السراب سلاسلُ

(١) تكثر الكناية عن الإنسان بكف من تراب أو قبضة من تراب.
(٢) يعني فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب، والجد الدائب.
(٣) طغرل وسنجر من ملوك السلاجقة.

obeikandl.com

حكومة[١]

يَرضى المريدون قول حق ... ليسوا عن الحق بالعُتاةِ
والشيخ قولَ الفقير يقلِي ... وليس للحق بالمُواتي
قد قعدت أمة وباءت ... في حَلبة السعي بالخَزاة
إن شغلت عقلها ببحث ... فلسفةُ الذات والصفات
دستورُ ذا الديرِ ليس فيه ... للخمر والشَرب من ثَبات[٢]
لكنما راحُهُ نصيب ... لأمة حُرة السمات
الشهد عند الشباب فيها ... المر من مورد الحياة

المدرسة الهندية

إقبالُ أقصِر، هنا لا تُعرَف الذاتُ ... فما لمدرسةٍ هذي المقالاتُ
الخير ألا تُرَى في عين قُبرة ... من البُزاة مقامات وحالات
فلحظة الحرِّ عام للذليل فكم ... كم تبطئ السيرَ بالعُبدان أوقات
ولحظة الحرِّ من خُلدٍ رسالتُه ... ولحظةُ العبد من مَوتٍ فُجاءات
وفكرة الحرِّ من حَق منورة ... وفكرةُ العبد تغشاها الخرافات

(١) بمعنى حكم.

(٢) يكنى عن الدنيا بالدير القديم. وقد حذفت القديم في الترجمة.

كرامـــة حيَّـــة بـــالحرِّ ماثلـــة والعبدَ من غيره تأتي الكرامات
حـسب المُقيـد تعليمًـا وتربيـة تـصويره ولحـون والنباتـات [١]

التربية

فـــرق علـــم وحيـــاة لـــيس فيـــه مـــن خفـــاء
هـــو فـــي الـــرأس ذكـــاء وهـــي فـــي القلـــب ذكـــاء[٢]
قـــدرةٌ فـــي العلـــم تبـــدو ومتـــاع وثـــراء
مُعـــضلٌ أن لـــيس فيـــه فـــي خُطـــىَ الـــسير اهتـــداء
وأواو الأبـــصار نـــزر وأولـــو العلـــم زهـــاء
لـــيس بِـــدعًا أنَّ كأسًـــا لـــك مـــن راحٍ خَـــلاء
مـا طريـق الـشيخ فـي المكتـب للقلـــب ضـــياء[٣]
كيـــف بالكبريـــت إشـــعا لُ ســـراج الكهربـــاء؟

(١) يعني حسب الذليل أن يعني بهذه العلوم والفنون لا تدرك نفسه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم.

(٢) ذكاء = اتقاد.

(٣) المكتب = المدرسة. وفي تركيا المدرسة خاصة بالعلوم الدينية والمكتب لما يسمى مدرسة في مصر. والكلمة بعينها في الأصل.

الحسن والقبيح

هنا رأي لإقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته في الذات وقوتها وعلوها. يقول ما تدركه الذات في اعتلائها جميل، وما تدركه في استفالها قبيح.

إنَّ للفكـــر طُلوعًـــا وغروبًـــا كنجـوم سـابحاتٍ فـي العـوالي
عـالم الـذات بـه عُلْـو وسُـفل واعتـراكُ القـبح فيـه والجمـالِ
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل وقبـيح مـا بـدا فـي الاِسـتفال

موت الذات

من ممات الذات في الغرب ظلام وبموت الذات في الشرق جذامْ
مـن ممـات الـذات فـي الغُـرب ولـدى العُجـم عـروق وعظـام
من ممات الذات في الهند جَناحٌ هِيضَ في الأقفاص والعشُّ حرام
مـن ممـات الـذات يُعـرى مسلمًا مـن ثيـابٍ سـادنُ البيـتِ الحـرام[1]

(١) في الأصل «شيخ الحرم يبيع ثوب الإحرام ويأكله» والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين في الحزم عن المساعي وسوغت لهم بسفساف الأمور؛ فطوعت لهم أنفسهم أن يأخذوا ثوب الإحرام ليعيشوا به.

ضيف عزيز

ضمير أولى المدارس في ازدحام ... بأفكـــار كمـــا امـــتلأ القفيـــزُ
وهـذا العـصر مـاض فـي هـواه ... جمـــيلًا مـــن قبـــيح لا يميـــز
ففـي جَنَبـات قلبـك أخـلِ بيتًـا ... عـسى يثـوى بـه ضـيف عزيـز[1]

العصر الحاضر

فـأين يـصيب المـرء ناضـجَ فكـرةٍ ... وأجواء هذا العصر لا تُنضجُ الثَّمر
مـدارسُ فيهـا كـلُّ عقـل محـرَّرٌ ... ولكـن بهـا الأفكـارُ عِقـدٌ قـد انتثـر
أطاحت بعشق الغرب أفكارُ ملحدٍ ... وعبّـدَ عقـلَ الـشرق فَوضـى مـن

طالب العلم

يريـد إقبـال بـالتعليم إيقـاظ نفـس الطالـب وتحريكهـا وإثارتهـا للنظـر، وحفزها للمطالب العالية، لا تلقينها مسطورات الكتب، فهو يقول:

الله يحبـــــوك عِلمًـــــا ... بمائجـــــات العُبـــــابِ
فـــإنَّ بحـــرَكَ رَهْـــوٌ ... مـــا يُبْتَلـــى باضـــطراب
لـــن تـــستطيع فراغًـــا ... فـــي الـــسِّفْر مـــن أبـــواب

(١) ينبغي أن يخلى القلب حينًا من الأفكار المتزاحمة التي تشغله؛ ليفزع للواردات النفسية والمعاني الروحية العالية.

فأنـــت قـــاري كتـــاب ولـــستَ أهـــلَ كتـــاب

امتحان ...

في الأبيات التالية يضرب إقبال مثلًا لرأيه في أن الكد والجهد يقويان الإنسان ويرفعانه، وإن الحياة لا تكمل دون عناء -يمثل بالنهر المنحدر من الجبل يهوي من صخر إلى صخر... إلخ.

قـال نهـر الطـود يومًـا للحجـر: بـسقوط وانتكـاس تفتخـر!
أنـت للأقـدام والغـمِّ لَقًـى وأنـا يـشتاقني بَحـرٌ وبَـرّ
لـم تُدَهْـدَه مـن جِـدَارٍ مـرَّة كيـف تُـدرى أزجـاجٌ أم حجـر؟

المدرسة

يقول إقبال: إن المدارس وسيلة إلى الوظائف وسبيل إلى المعايش وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة بل تهبط بالفطرة، وتحجب عن الإنسان أسرار الخليقة، وإن يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيرًا من المدارس بها.

مَلَـكُ المـوتِ عـصرُنا يتـوفى كـلَّ نفـس بفكـرةٍ فـي المعـاش
يزَجُـف القلـب مـن كفـاح حيـاة وهـي مَـوتٌ لُمشفِقٍ مـن هِـراش
أبعـدَ الـدرسُ عـن حِجـاك جُنونـا صـاحَ بالعقـل: لا تَلـذ بنِقـاش[1]

(١) جنون يقول للعقل: أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذ بالمعاذير.

عـينُ صـقر مُنِحتَهـا وعليهـا وضـع الـرق نظـرة الخفّـاش
حجبـت دونـك المـدارس سـرًّا هـو فـي البيـد والرواسـخ فـاشِ

الحكيم نيتشه

إقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألماني، وفي فلسفته شبه بفلسفته، ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل لا القلب وأدرك العلم لا العشق. وهنا يقول: لم يكن «لنكتة التوحيد أهلًا وأنه كان صرورة عفًّا، ولكن كان يتشوف إلى لذة الأثم فيكثر الحديث عنها (انظر المقدمة)».

أي قـدر لـذا الحكـيم ولكـن لـم يكـن أهـل نكتـة التوحيـدِ
لـيس إلا لـذي البـصيرة يبـدو سـرُّ معنًـى بـ (لا إلـه) بعيـدِ
أرسـلَ الفكـرَ أسـهما فـي سـماءٍ وحـوى الـشمسَ بالخيـال المديـد
طـاهرُ الطـين فـي الترهـب لكـن لـذة الإثـم نُـصبُ طَـرْفٍ حديـد

الأساتذة

إن كـان تربيـةُ اليـاقوتِ مقـصِدَنا ... فما شعاعٌ رمَته الشمسُ حيرانُ[١]
وما المدارس أو ما الدارسون بها ... وللروايـات عـمَّ الأرضَ إذعـان
كانت جديراً بقَود العصر أدمغةٌ ... يقودهـا العـصر مـا فـيهن نُكـران

قطعة

يبلـغ المنـزلَ سـار لا ينـامْ ... مُـسرِجٌ عـينَ هِزبـرٍ فـي الظـلامْ
إنَّمـا للعبـد تُمنَـى راحـةٌ ... لـيس للحـرِّ علـى الأرض حَمـام
قـد أزاغ العـينَ فـي الغـرب سَـنًا ... لـك مـن صاحب (ما زاغ) إمـام[٢]
ذاكـم الحفـل الـذي أكؤسـه ... كنجـوم، لَمحـةٌ فيـه المُقـام
أعمَـتِ الأسـفارُ حِسًّا فالـصَّبا ... لـم تعطِّر لـك مَـن روضٍ مشامْ[٣]

---

(١) يقول الطبيعيون القدماء: إن العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسة تنضج بأشعة الشمس. ويقول إقبال: إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة؛ تربية النشء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة في الأحجار النفيسة.

(٢) يشير إلى الآية في سورة (النجم) {ما زاغ البصر وما طغى}. وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام.

(٣) يعني أن العكوف على الكتب أمات الحس؛ فالصبا تمر على الروض وتأتي إليك فلا تشم رائحة الروض فيها. حجبت الكتب عن النفس إدراك المعاني الروحية العالية وأغفلت الإنسان عن وحي الكون.

الدين والتعليم

قد عرفنا قدرَ أشياخ الحَرم ... كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سَقَم
ولتعليم النصارى نغمٌ ... ليس من دينٍ وخُلقٍ ذا النغَم
تكتب الذلَّ على أقدارها ... أمَّةٌ بالذات فيها لا تُهمّ
ربما تغفر للفرد ولا ... تغفِر الفطرةُ آثام الأمم

إلى جاويد

جاويد ابن الشاعر وباسمه نظم «جاويد نامه» الديوان الخالد. وجاويد اليوم يطلب العلم في لندن أرسلته إليها حكومة باكستان.

والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامي الجنزي (الكنجوي) الذي ينصح فيه ابنه. وقد ختم إقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التي قسم إليها نصيحة جاويد ببيت فارسي من أبيات نظامي التي نصح بها ابنه. ونظامي من أئمة شعراء الفرس.

-١-

حَربٌ على الأديان ذا الزمانُ ... مركَّبٌ في طبعه الكفرانُ
سُنَّة أهل الله -فاطلُبنها- ... أرفعُ مما شيَّد السلطان
لكنه «والحقِ» عصرُ سِحرٍ ... السحرُ في أموره ميزان

عـينُ الحيـاة ماؤهـا نَـضُوبٌ فـأين راحُ الليـل والرَّيحـان
مـن كـان فـي نظـرتهم سِـهامٌ مـنهم خـلا الكُتّـاب والـديوان
لكنمـا الـدار التـي سـراج أنـت لهـا مَـذاقُها عِرفـان[1]
إن تـك (لا إلـه) فـي ضـمير فـالغرب مـن تعليمـه أمـان
عُـشَّك فـوت (الـذات) أحكِمنـه ثـم اطـرَبْن مـا شـاءت الأغـصان
الآدمـيُّ يـا بنـيَّ بحـرٌ فـي كـل قطـرةٍ بـه طوفـان
مِـن حَبَّـة تـرى ألـوفَ حَـبَّ إمّـا جفـا راحَتـه السـدهقان

لا تغفلَنْ فلاتَ حين لِعْبِ
العلمَ حصِّلْ واستهِنْ بالصعب

-٢-

إن لـم يكـن فـي الـصدر حرُّ قلـب لـم تنـضجِ الحيـاةُ فـي هُمـام
إن ينـشَطِ الغـزالُ فـي ذَكـاء لـم يظفـر الـصيادُ بـالمَرام[2]
مـاء الحيـاة هاهنـا قريـب طريقُـه حـرارةُ الإقـدام[3]

(١) يعني دار إقبال التي نشأ بها جاويد.

(٢) إنما يصاد الصيد حين يغفل أو يبطئ؛ فإن كان يقظًا وثابًا لا يظفر به الصياد، فالإنسان لا تخضعه الحادثات أن صحبة الذكاء والإقدام.

متى تحمل القلب الذكي وصارما *** وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم

(٣) ماء الحياة يوجد في هذه الدنيا والسبيل إليه الجد والكد، وشدة العطش. كما قال في رسالة المشرق:

غصن الحياة ندى *** من ظمئنا في الطلاب

في غيرة أرى طريقَ حقٍّ ... الفقرُ بالغيرة في تَمام
يا قرةَ الأعينِ مستحيلٌ ... لباشق ضَراعةُ الحَمام[١]
ليس المقالُ في الأنام نزرًا ... كم أنوري عندهم وجامي[٢]
وإنما بين الورى متاعي ... نُواح خالٍ في دُجى الظلام
وصدقُ أقوالٍ بها تراني ... في نظر الدنيا من الكرام
موهبةُ الخلاّق لا تُراثٌ ... نباهة الذكر على الأيام
لنور عينيه يقول نصحًا ... ما أجمل المقالَ من نظامي[٣]
أبوَّتي ليست بذات بالِ
في حَلبة السبقِ إلى المعالي

-٣-

عبء على المؤمنِ ذي الليالي ... الدينُ والدولةُ فعلُ هازي
ولا أرى نشوان في كِفاح ... فليس الاكَلِمٌ نَوازي
فإن تكن ذا همة فأقدم ... وابتغ فقرًا أصله حجازي[٤]

---

(١) الباشق ضرب من الطيور الجوارح. ولا يذل الباشق كالحمام. فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام.

(٢) ليس الكلام في الناس قليلًا، فكم فيهم من شاعر مثل الأنوري والجامي. وهما من كبار شعراء الفرس.

(٣) نظامي شاعر فارسي كبير ذكر في مقدمة هذه الأبيات.

(٤) فقر نسب إلى الرسول الحجازي. راجع المقدمة في الكلام على الفقر.

الآدمـــيّ منـــه فـــي صِـــفاتٍ كـــالله مـــستغنٍ بـــلا إعـــواز
هـــذا المقـــام للبُغـــاث حتَـــف فإنمـــا هـــذا مقـــام البـــازي
تُـضيء عـينُ العقـل مـن سـنَاهُ مـا بـابن سـينا كُحِلـت والـرازي
سـطوةَ (محمـودٍ) تُـصيب فيـه إن لـم يكـن طبعُـك مـن إيـاز[1]
فـذاك فـي دنيـاك إسـرافيلٌ من نَفَخات الناي في اشمئزاز[2]
نظرتُـــه المثيـــرةُ الليـــالي ســـاريةٌ بـــالكون فـــي ارتجـــاز
وصـاحب الفقـر الغيـورِ هـذا بـلا سـلاح فـي الزمـان غـازي

إمارة المؤمن فيه سِرُّ
عطيةُ الوهاب هذا الفقر

(١) السلطان محمود بن سبكتكين وغلامه إياز يشيع ذكرهما في الآداب الإسلامية الشرقية. وضرب محمود وإياز هنا مثلًا للعظمة والحقارة.

(٢) فذاك: إشارة إلى الفقر فنفسه لا يلائم الناي ولكن صور إسرافيل.

oberkandl.com

القسم الثالث
المرأة

الرجل الإفرنجي

كـم حكـيم قـد تمنَّـى حلـه ... مـشكلَ المـرأة فـي هـذي الحيـاةِ
لا تُلمْهـا فـي فـساد شـائع ... شـهدتْ بـالطهر كـل النَيِّـرات
عِـشرة الإفـرنج نَهـجٌ مُفـسِد ... جِهـل الحَمقـى طبـاع المحـصَنات

سؤال

إلـى عـالم الغـرب مـن أسلـست ... لـه الـرومُ والهنـدُ يُزجـى سـؤال:
كمـــالُ معاشـــرةٍ عنـــدكم ... حِيـالُ النـساء وعُطْـلُ الرجـال؟[1]

(١) الحيال الخلو من الحمل.

obeikandl.com

حجاب

أرى فلكًا كلَّ حين للون ... ولم تَنضُ دنياك هذا الإهابْ
ولا فرق ما بين عِرس وعِرس ... فذي في نقاب وذا في نقاب [١]
ولم يزل الناس رهنَ حجابٍ ... ومن بَرزتْ ذاتهُ من حجاب؟

الخلوة

فضَحَ العصرَ جِنّةٌ بالسفُورِ ... نُورُ عَيْن وظُلمةٌ في الصدورِ
إن تَجُز متعةُ العيون مَداها ... كان فيها الشتاتُ في التفكير
قطرةُ الماء لا تُحوَّل دُرًّا ... دون أصدافها بقاع البحور
تُمسكُ الذاتُ نفسَها حين تَخلو ... لا خلاءٌ بمسجد أوديور

المرأة

إنما المرأةَ لَون ... في رسوم الكائناتِ
لَحنُها ينفثُ نارَ الوَ ... جد في صدر الحياةِ
ذلك الطينُ تعالى ... فوق أوْج النيّرات
إنها دَرجٌ لديها ... كلُّ دُر من صفات

---

(١) نقاب الرجل والمرأة في هذا البيت يفسره ما في البيت الذي بعده، أن الذات لا تزال في حجاب. والعرس الزوج للرجل والمرأة.

مـــا لأفلاطـــون تَـــروِي مـــن قـــضايا معـــضلاتِ
وهـــو منهـــا كـــشرار مـــن ذكـــي الجَمـــرات[١]

حرية النساء

قـضيةُ عـصرٍ لـست فيهـا بفَيْـصل وإن كنتُ بين الشهد والسمّ أفرِقُ
ومـا نفَـعُ أقـوال تزيـد مَلامتـي وقـبلًا بنـو التمـدين عنّـي تفرقـوا
يبـيّنُ هـذا الـسر وِجـدانُ مـرأة ويعجز عنه في الرجال المحقق:
أحريـة النـسوان أجمـلُ زينـةً أم الجيـد بالـدرِّ الثمـين يطـوَّق[٢]

حصانة المرأة

فـي الـصدر حـق لـيس يُدركـه مـن حـاز بـردَ دِمائـه عَـصَب
حفـظ الأنوثـة فـي يـدي رجـل لا العلـم يحفظهـا ولا الحُجُـب
إن غـاب هـذا الحـق عـن أمـم فكـسوف شـمس فـيهمُ كَثَـب

(١) يعني أن المرأة لا تتفلسف ولكن تلد الفلاسفة.
(٢) هذه قضية لا يفصل فيها إلا المرأة: أحرية المرأة كما نرى اليوم أحب إليها أو غل عنقها من اللؤلؤ في رعاية زوج وصيانة بيت.

المرأة والتعليم

مَوْتَ الأمومة إن رامت حضارتُهم ... فالموتُ عاقبة الإنسان في الغربِ
إن يجعل المرأةَ التعليمُ لا امرأةً ... فالعلمُ مَوتٌ يراه صاحبُ القلب
إن تحرمن الفتاةَ الدينَ مدرسةٌ ... فالعلمُ والفنُّ موتُ العِشق

المرأة

بغيره يتجلى جوهرُ امرأة ... ووحده يتجلى جوهرُ الرجلِ
حرارة الشوق سر في بلابلها ... كيانُها لذةُ التخليق كالشعَلِ
من هذه النار أسرارُ الحياة بَدَت ... والخلق والموت منها في وغىً
كذلك في فؤادي للنساء أسى ... لكنها عقدة أعيت على الحِيل[٢]

(١) إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها، فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة وذهاب الحب الحق.

(٢) هو كذلك يرثي للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها إياه؛ ولكن لا حيلة لأحد في هذا.

القسم الرابع
الأدب والفنون
الدين والفن

الـدين والفـن والتـدبير والخُطَـب ... والـشعر والنثر والتحريـر والكتـبُ
كـلٌّ يُحـيط بمكنـون يَـضِنّ بـه؛ ... فـي صـدره يتـوارى جـوهرٌ عَجَـب
ومن ضـمير سـليلِ الطين مطلعُهـا ... لكـــن لهـــا مـــن وراء الزُهْـــر
إن تحفـظ «الـذاتَ» هـذي فالحيـاة ... أو لـــم تطـــق ذاك فهـــي الـــسحر
كـم أمـةٍ تحـت هـذي الـشمسِ قـد ... إذ جانـــب الـــذاتَ فيهـــا الـــدينُ

التخليق

جِـــدّةُ الـــدنيا بتجديـــد الفِكَـــر ... ليـــست الـــدنيا بـــصخر ومَـــدَرْ
همَّـةُ الغـائص فـي «الـذات» لهـا ... مـن غـدير المـاء بحـرٌ قـد زَخَـر
قـــاهرُ الأيـــامِ مَـــن أنفاســـه ... هـــي أعمـــارُ خلـــودٍ فـــي الـــدهر
رِيـحُ أصـحاب مـن البِيـد أتـت ... لا عجيـبٌ إن بـدا خِـذْن سـفَر[٣]

---

(١) سليل الطين = الإنسان.

(٢) الدين وسائر ما ذكره في البيت الأول مقصدها حفظ الذات... إلخ.

(٣) يعجب إقبال بالبادية؛ لأن الذات فيها أقوى، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم الحياة والقوة. وهو يجد من البادية ريحًا تبشر بصاحب مسعد له يدعو دعوته ويحقق أمله.

جنون

واهــنُ البيــت شــاعرٌ وفقيــه ... وطـوى البيـدَ -ويحـه- المجنـونُ
فــي طمــاح الجنــون أيّ كمــالٍ ... حـين تعـدو البيـداءَ منـه فنـون[1]
فلـه فـي الـدروس أيـضًا مجـالٌ ... لـيس وقفًـا علـى الفيـافي الجنـون

إلى شعره...

لــي مــن فعلــك شــكوى: ... همــتَ فــي حُــبِّ الطلــوعْ
شِــعْتَ عــن قلبــي فالأســ ... ــرار عــن قلبــي تَــشيع
لا تكــن مثــلَ شَــرار ... نــد عــن نــارٍ يــضيع
والــتمس خلــوةَ صــدر ... فيــه مــن نــار ضــلوع

مسجد باريس

يــا نظــري لا يخــدعنَّك فنــه ... للــزور هــذا الحــرَم المغــرِبُ
ولــيس هــذا حرَمًــا لكنــه ... عنــد الفــرنج للغــرام ملعــب
قــد أخفــت الإفــرنج روحَ مَــوثَن ... فــي صــورة مــن حــرَم تُكــذَّب[2]

أمله.

(١) إن تجاوز البيداء إلى الحضر فنونه، وفيه إشارة إلى مجنون ليلى.

(٢) الموثن: معبد الأوثان.

إن الـــذي شـــيد هـــذا موثَنـــا دمـــشق مـــن عُدوانـــه تخـــرّب

الأدب[١]

بهـذا يجمـل الـشاعر طريقـة الأدب الحـديث، فهـو مـزاج مـن القلـب والعقل، وهو يجدد الروح في صور قديمة أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة.

رأيـت العـشق يقفـو اليـوم نهجًـا مـــن العقـــل الإلهـــي القـــويم
ولـــيس يُريـــق مـــاءَ الوجـــه ذلًّا علـــى عَتَبـــات محبـــوب غـــريم
محـــا التقليـــدَ فـــي روح قـــديم وأحيـــا الـــروح فـــي جـــسد قـــديم

البصيرة

الربيـــع النـــضيرُ مِـــلءُ الفـــضاء وجيـــوشُ الـــشقيقِ فـــي الـــصحراء
وشـــبابٌ ومتعـــة وسُـــرور ودلالٌ ونـــشوة بالفَتـــاء[٢]
وعيـون النجـوم فـي حَلَـك الليـل وسَـبْح الأفـلاك فـي الـدأماء[٣]
وعَروس الهلال في هَودج الليل تَهـــادى بموكـــبٍ للقـــاء
وتبـدِّى ذُكـاءَ فـي رَونـق الـصبح وصـمتُ الأفـلاك فـي ذا الـرُواء

---

(١) كتبت في بهوبال -رياض منزل- دار السيد راس مسعود.

(٢) الفتاء الشباب.

(٣) الدأماء البحر.

سـرِّح العـينَ، لا تكلَّـفْ أجـرًا لا يبـاع الجمـالُ فـي ذا الفـضاء

مسجد قوة الإسلام[١]

تمـلأ صـدري همـومُ مفئـودِ لـم يبـق إلا اذكـارُ مفقـودِ[٢]
قـد خمـدت «لا إلـه» لا حُـرَقٌ ولا تجـلٍّ ثَـواءَ ملحـود
فـي الخلـق كـل العيـون تنكرنـي أعيـا إيـازًا مقـامُ محمـود[٣]
من صَخرك المسلمونَ في خجَل لجـوهرٍ كالزجـاج معـدود[٤]
فإنمـا كُـفء مـا تُمثّلـهُ صـلاة حُـرٍّ ربيـبِ توحيـد
جـلالُ تكبيـره لـذي أذن فيـه وغـىً هالـكٍ وموجـود
ومـا صـلاتي بقلـب ذي حُـرَق ولا دُعـائي دعـاء معمـود
ولا أذانـي جـلالُ مقتـدر فكيـف ترضـى سـجودَ رِعديـد

مسرح

تـضيء حـريمَ وجـودك ذاتُـك كِفـاحٌ بهـا وسـرورٌ حياتُـك
لهـا فـوق أوج الثريـا مَقـام جُليـتَ بهـا وتجلّـتْ صِـفاتك
أمِـن «ذات» غيـرك تَعمُـر قلبًـا معـاذ الإلـه! تُـرَى أيـن ذاتـك؟

---

(١) مسجد عظيم شامخ في دهلي هدمت بعض جدره.
(٢) المفئود حزين الفؤاد.
(٣) السلطان محمود وإياز مولاه؛ أي لا ينال العبد مقام السيد.
(٤) لجوهرهم الضعيف كالزجاج.

فـلا تبعـثنْ وُثنَهـا بعـد مـوت فتحيـا مناتُـك فيهـا ولاتُـك[١]
كمـال المحاكـاة أنـك تَفنـى فيكفيـك هـمَّ الحيـاة مماتـك[٢]

شعاع الأمل

لعل الشاعر يعني نفسه بشعاع الأمل. الشمس يئست من إضاءة في الشرق أو الغرب فدعت أشعتها إليها، فجاءت الأشعة إلى صدر أمها معترفة بيأسها إلا شعاعًا جريئًا يقول للشمس: ذريني أضيىء الشرق ولا تيأسي، فكل ليل إلى صباح. الشاعر يرى في أمله ودعوته في الشرق هذا الشعاع.

-١-

تنـادي أشـعتَها فـي ضـجَر ذكـاءٌ وتجمـع منهـا النـشَرْ[٣]
عجبـتُ لـدنيا نهـار وليـل عجبـتُ عجبـتُ لـدنيا الغِيـرَ
إلام الهُيـامُ بهـذا الفـضاء وجَـورُ الزمـان بكـنّ اسـتمرّ
فـلا دعـةٌ فـي اتقـادٍ برمـل تَـلألأُ ذرّاتُـه كالـشرر
ولا دعَـةٌ فـي دوام طـواف طـوافَ الـصبا فـي ريـاض الزهَـر

(١) الوثن جمع وثن. ومناة واللات صنمان ذكرا في القرآن.
(٢) كما التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله. فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلدًا فتستريح من عناء الحياة.
(٣) النشر: المنتشر المتفرق.

تجمّعْـنَ فـي صـدريَ المـستنير ودعْـنَ البـداةَ ودعـن الحـضَر

-٢-

تـداعى الأشـعةُ مـن كـل صَـوب إلـى الـشمس تبغـي لـديها قـرارا
وصـاحت: تعـذَّر في الغـرب نـورٌ دُخـان المـصانع يكـسوه قـارا
وفـي الـشرق قلـب بـصير ولكـن كعـالَم غيـبٍ بـصمتٍ تـوارى
أنـورَ العـوالم! لا تهجُرينـا إلـى نـور صـدرك آوى الحَيارى[1]

-٣-

شُـعاعٌ جـريءٌ لـه نظـرة كنظـرة حـوراءَ تغـزو الـضميرْ
ولا يـستقر علـى حالـة تـرى زئبقًـا فـي ضـياء يمـور
يقـول: أُضيئُ على الـشرق حتى أرى ذَرّه كـشموس تنيـر
وأجلـو عـن الهنـد هـذا الظـلام فـأوقظُ نُوَّامهـا للنـشور
ففيهـا مـن الـشرق آمالـه «وإقبالهـا» بالـدموع مَطيـر
تـضيء بهـا أعـين النيـرين حـصاها يلَـوح كـدرّ منيـر
وكـم عـاش فـي أرضـها غـائص يـرى كالـضحاضح لـجَّ البحـور
فـأعوزَ أعوادَهـا عـازفٌ وكانت تَهيج الجَوى في الصدور

(١) الخطاب للشمس.

ينـــام البَـــرَهْمَنُ فـــي سُـــدَّةٍ لـــدى مَـــوْثَن والزمـــانُ يـــسير
ومـــسلمها خِـــدْنُ محرابـــه ينـــوح ومـــن قَـــدَر يـــستجير
فـلا يحزُنَنـكِ مـن الـشرق نـوم وفـي الغـرب لا تـرهبِنَّ الـشرور[١]
قـــضت فطـــرةُ الله أن تُبـــدِلي بليـــلِ الظـــلام صـــباحَ الـــسفور

أمل[٢]

لـــستُ مـــن أجنـــاد حـــرب لا ولا ربُّ لـــــــــــواءْ
بيـد أنـي فـي صـروف الدهـ ـــــر ثَبْـــتٌ فـــي اللقـــاء
عُـــدّتي ذكـــــر وفكـــــر وهُيـــــام وغنـــــاء
لـــست أدري أهـــو شـــعر أم ســـواه ذا العطـــاء[٣]
إن عبـــد الحـــق يُزهَـــى فـــي محيّـــاه ضـــياء
مـــن جـــلال ظـــلّ فكـــرُ الكـــون منـــه فـــي امـــتلاء
لـــيس دون الكفـــر إن لـــم يـــك كفـــرًا ذا الـــبلاء:
أن يُـــرى بالحاضـــر المـــشـ ـــــهود للحـــرِّ سِـــباء[٤]
لا تـذب غمًّـا فكـم فـي الدهـ ـــــر أدوارٌ وِضـــــاء

---

(١) الخطاب للشمس.

(٢) كتب في بهوبال - رياض منزل (دار السيد راس مسعود).

(٣) هو يدري أنه وهبه الذكر والفكر والهيام والغناء ولا يدري أهذا شعر أم شيء آخر.

(٤) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحر ما يراه ويشهده فيقيد به فكره وعمله. فالحر لا يقيده ما يسمى «الأمر الواقع».

كـــم نجـــومٍ حادثـــات سـوف تجلوهـا السماء

البصيرة

لم تُخفِ هذي الكائناتُ ضميرَها شوقُ الظهور يثور في ذرّاتها
إن صاحبَ النظَراتِ شوقُ بصيرة تتبدلِ الأيامُ في جَلَواتها[1]
من ذي البصيرة في الليالي قد أبناء من خضعوا لها ساداتها
من ذي البصيرة لي جنون ثائر عَرفت به الذراتُ طيَّ فلاتها[2]
هذي البصيرة لا تيسر لامرئ تخْزَى القلوبُ بنفسه وسِماتها

إلى أهل الفن

مذهب الشاعر أن الفن ينبغي أن يحرر من محاكاة الطبيعة، وينبغي أن يصور «ذات» صاحب الفن. فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها، و«الذات» العاشقة خالدة. وضمير الإنسان لا تحده الألوان، والذات تخلو للذكر والفكر، وتظهر للشعر والإنشاد غير خاضعة لهذا العالم. والروح المستعبدة فنها عبد، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء.

رأيت الكواكبَ لَمْحاتِ نور وذاتُك بالعشق رَهنُ خلود

(١) يعني أن نظرة البصيرة تنفذ إلى حقائق الأشياء، فترى الدنيا على غير صورتها الظاهرة.

(٢) الجنون، هو الحماس والإقدام. ويعني الشاعر أن بهذه البصيرة ثار هذا الجنون في نفسه فهذه الذرات التي تطوي الفلاة تعلمت من جنونه طي الفلاة. والشاعر يقرن الجنون بالفلاة إشارة إلى قصة مجنون ليلى (تراجع المقدمة في معنى الجنون).

تعالى ضميرك عن كل لون ... فعفتَ من اللون كل القيودْ
وغيبةُ ذاتك ذكر وفكر ... ومحضرُها شعرُها والنشيدْ
إذا أضنَت الروحَ آلامُ رقٍّ ... ففنُّك عبدٌ رهينُ سجودْ
وإن عرفت قدرَها كنتَ حقًّا ... على الجن والإنس ربَّ الجنودْ

قطعة

ثائرَ الموج كم لدى البحر درٍّ ... وعلى الساحل الصَّموت غُثاء[١]
في شَراري سنا البروقِ ولكن ... رَطبة العُود هذه القَصباءُ[٢]
ولك الوقت والتصرّف فيه ... ليس يا غِرُّ ! للنجوم غَناء
قد رأينا عجيبةً من جنون ... فيه رَفوٌ لما يشقّ القضاء[٣]
إنما الكامل الخلاعةِ شهمٌ ... دون مَنّ الكروم فيه انْتِشاء[٤]
وإلى اليوم حانةُ الشرق فيها ... خمرةٌ للشعور منها جَلاء[٥]
يئس المبصرون من أمم الغـ ... ـرب ففيها بَواطنٌ سَوداء

---

(١) الدر في ثورة الموج وليس في سكون الساحل إلا الغثاء فالحياة جد وكد، لا سكون.
(٢) شراري يحرق كالبرق، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل.
(٣) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء، فهو يرفو ما يمزقه القضاء؛ أي يصلح في هذا العالم مذللًا الطبيعة وما يحسبه الناس قضاء وقدرًا في هذا الكون.
(٤) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه في غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر.
(٥) الخمر المؤثرة تحجب الشعور؛ ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهي تزيد الشعور جلاء.

الوجود

أنت تحت الشمس تَمضي كشرار ... لستَ تدري ما مَقاماتُ الوجودْ
ليس في فنك للذات بناء ... ويلُ تصوير وشدوٍ وقصيدْ
ليس في المكتب والحانة إلا ... درس إفناء به الذات تبيدْ
ليت شعري هل تعلمتَ وجوداً ... لحياة ودوام وخلودْ

obeikandl.com

الغناء

صـاح مـن أيـن لنـايٍ نـشوةٌ؟ صَوتُ عُود ذاك أم من قلب حيّ؟
صـاح مـا القلـب؟ ومـن أيـن لـه قـوةٌ سَـكرى تَحـدَّثْ كـل شـي
ولمـــاذا نظـــرة منـــه ســـرت مثلَ ريح صرصر في تَخت كَي[١]
ولمـــاذا ذلـــك الـــسرّ لـــه: مـن حيـاة فيـه يحيـا كـلّ حـيّ[٢]
ولمـــاذا كـــلَّ حـــين مبـــدلٌ وارداتٍ زُمـــرَا تهفـــو إلـــيَّ
ولمـــاذا صـــاحبُ القلـــب ازدري ملـــكَ روم ومُنَـــى شـــام وريّ
إن وعـــى للقلـــب رمـــزًا مطـــربٌ طُـوِيَ الفـنّ لـه أسـرعَ طـيّ[٣]

---

(١) كي-كيكاوس أحد ملوك الفرس القدماء، وفي الأساطير أنه كان له تخت يطير به.

(٢) لماذا خص القلب بهذا السر، أن بحياته تحيا الأمم.

(٣) أن عرف المطرب رمز القلب فأرسل في نغماته خفقات القلوب، طوى مراحل الفن فبلغ غايته دون عناء.

obeikandl.com

النسيم والندى

النسيم:

لم أرقَ في فلك النجوم وإنني ... في شقّ أثواب الأزاهر أعملُ
وأسيرُ عن وطني غريبًا مجبرًا ... في مسمعي شدوُ البلابل يثقل
قل لي، فقد أعطيت سرّ كليهما، ... المرجُ أم فلَك الكواكب أجمل[1]

الندى:

لو لم تكن في المرج رهنَ هشيمه ... لرأيته سرَّ الكواكب يحمل[2]

أهرام مصر

في هذه الأبيات يشيد إقبال بالإنسان وقدرته على الإبداع، ويشير إلى ما قال في أبيات أخرى من أن صاحب الفن لا يحاكي الطبيعة؛ بل يسيطر عليها ويؤثر فيها.

شادت الفِطرة كُثبانًا لها ... في سُكونٍ من يبَاب قد وقَد

---

(١) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج، أيهما أجمل. فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سر الكواكب وما وجدت فرقًا بين السماء والمرج.

(٢) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج، أيهما أجمل. فيقول الندى لو لم تتعلق بالهشيم، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سر الكواكب وما وجدت فرقًا بين السماء والمرج.

روَّع الأفـــلاكَ فيـــه هـــرمٌ أيّ كـفّ صـوَّرت هـذا الأبـد!
مـن إسـار الكـون حـرّرْ صـنعة صـائدٌ ذو الفـن أم صـيدًا يعـدّ [١]

مخلوقات الفن

قـد رأى ذو بـصر سـرّ الـذات وجـلا الفـنُّ لعـينِ جَنّـاتِ [٢]
مـا بـه الـذات ولا الكـون يُـرىَ فهـو مـن جهـد حيـاة فـي نجـاة [٣]
تعـس الكـافرُ مـن أصـنامه مـن حُطـام لمنـاةٍ والـلات [٤]
هالـكٌ صـلَّى عليـه فنُّـه فـي ظـلام اللحـد يرنـو للحيـاة [٥]

إقبال

جلال الدين الرومي أكبر شعراء الصوفية، ومجد الدين السنائي طليعة شعراء الصوفية الكبار، ومنصور في لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف. والشاعر يتخيل أن السنائي قال في

---

(١) لم يحاك باني الهرم كثبان الرمال، بل شاد هذا الأثر الخالد. فحرر الصنعة من أسر الخليقة، فإن صاحب الفن صائد لا صيد، يأسر الخليقة ولا تأسره.

(٢) ذات الإنسان أو مركز وجوده (خودي) في فلسفة إقبال.

(٣) ليس في هذا الفن الذات ولا فيه عالم الصباح والمساء، فهو فرار من جهاد الحياة.

(٤) المقلد في الفن يتخذ أصنامًا من بقايا أصنام محطمة كانت في الأعصر الخالية.

(٥) في الأصل أنت ميت وفنك أمام جنازتك.

الجنة للرومي: لا يزال الشرق في أسر القديم. فقال الحلاج: قد ظهر مجذوب أفشى للناس سر الذات، فهو حري أن يبدل الحياة في الشرق.

قال للروميّ في الخلد سنائي: لا يُزال الشرق بالتقليد يؤسَر
قال منصور: ولكن قد سمعنا أن سرَّ الذات أفشاه قلندر[١]

الفنون الجميلة

نظَرات الآفاق مُتعةُ عين سرِّحوا العين يا أولي الأبصار
غير أني أقول: ما نظراتٌ لا تجلّى كوامنَ الأسرار[٢]
مقصدُ الفن في الحياة لهيب أبدي فما وَميضُ الشَرار؟[٣]
قطرُ نَيسانَ! ما اللآلئ إن لم تتلاطم بها قلوبُ البحار[٤]
ما نسيمُ الصباح في الشعر إذا ما أذوَى سنا الأزهار[٥]
ليس إلا الأعجاز يحيى ففنّ ليس ضربُ الكليم فيه، عوارى[٦]

---

(١) راجع المقدمة في معنى قلندر.

(٢) إن لم تنفذ نظرات صاحب الفن إلى حقائق الأشياء فما هي بمجدية.

(٣) الفن يصور لهيب الحياة الأبدي، فلا قيمة للفن الذي يخرج شرارًا لا يلبث أن يطفأ.

(٤) قطر المطر في نيسان يخلق منه الدر في الصدف. يقول الشاعر: يا قطر نيسان ما قيمة الدر الذي لا يضطرب له قلب البحر. يعني أن بدائع الفن ينبغي أن يجيش لها قلب العالم.

(٥) إن كان نسيم الصبح المتمثل في إنشاد الشاعر ولحن المغنى، يذبل الزهر في الروضة ولا ينضره فأي نسم هو؟

(٦) حياة الأمم بالإعجاز، فالفن الذي لا إعجاز فيه عارية لا دوام لها.

صبح المرج

خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات أن الإنسان ينبغي أن يعمل في هذه الأرض غير غافل عن عالم الغيب، كضوء الصبح يغشى السهول والجبال ولكنه موصول بالفلك، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال الندى: إن الطيران يعلم أن الأرض ليست بعيدة من السماء.

الزهرة:

وافد الأفلاك! هل خلت بعيدًا ... موطني؟ لا إنه غيرُ بعيد

الندى:

من يَطِر ما بين أرض وسماء ... يتبين أنه غيرُ بعيد

الصبح:

أقبلن في الروض كالصبح رفيقًا ... ليس يؤذى وطؤه قطر الندى

واحضِن الأجيال والبيد ولكن ... من عُرى الأفلاك لا تحلل يدا

الخاقاني

شاعر فارسي كبير، توفى في تبريز سنة ٥٨٢ هـ. وله من الكتب «تحفة العراقين». سجل فيها ما رأى في العراقين العربي والعجمي حينما مر بهما في طريق الحج، وله ديوان، ومنظومة اسمها «هفت إقليم» (الأقاليم السبعة).

وهذه الأبيات جاءت في الأصل في القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعلن فعولن. وهو ضرب شائع في الشعر الإسلامي الشرقي وهو مشتق من الأوزان العربية، ولم أجده في الشعر العربي إلا في أبيات لبهاء الدين زهير أولها.

يـا مـن لعبـت بـه شـمول ... مـا ألطـف هـذه الـشمائل

وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد في شعرنا مثالًا في هذا الوزن إلى أبيات زهير:

ذا صـاحبُ تحفـةِ العـراقَينْ ... ذو القلـب يـراه قـرة العَـينْ

تنـشقّ لفكـره الـستور ... الحُجْـبُ جميعُهـا تُنيـر

يجتـاز بعـالم المعـاني ... لا يـسمع قـول: لـن تراني [١]

فاسـأله بـذلك التـراب ... والـدهرِ يجـيشُ فـي عُبـاب [٢]

ذا مَحـرَمُ عـالم الثـواب ... كـم دلَّ بمـوجَز الخطـاب: [٣]

«ناهيـك بـشرّ هـذا العـالم ... إبلـيس ثـوى ومـات آدم» [٤]

---

(١) ينكشف له عالم المعاني فلا يسمع منه (لن تراني) وهذا رمز إلى الآية في قصة موسى: {قال لن تراني}.

(٢) أسأله عن هذا العالم الأرضي وعن حوادث الدهر. وفي القرآن الكريم {فاسأل به خبيرا} أي: اسأل عنه.

(٣) المحرم المطلع على السر. واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فأقررتها في العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلي.

(٤) حسبك تعريفا بهذا العالم أن آدم مات وبقى إبليس أي بقيت نزعات الشر في هذا العالم. فهو عالم محنة وجهاد. وهذا البيت مضمن من شعر الخاقاني.

الرومي

هو مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي. والشاعر يتخذه إمامًا ويشيد بذكره في شعره.

ما زال طَرفُك في خَلْطٍ وفي سِنةٍ ... وعنك ذاتُك في الأسرار لم تَزَلِ

ولم تزل في صلاةٍ لا قيامَ لها ... وبالضراعة عزَّ الروح لم تَصلِ [١]

ومزهر «الذات» أوتارٌ مقطعة ... مازلتَ عن نغمة الروميّ في شُغُل

الجدّة

يرى الشاعر أن الإنسان لا ينفذ ببصره إلى حقائق الأشياء يقول: إنك إن صدقت النظر فيما حولك رأيت دنيا أخرى جديدة غير التي تراها، وتغير إدراكك هذا العالم وتبين أنه مسخر لك.

إن صدقَتْ نفسُك في الدهر النظَر ... تُنَور الأفلاكُ منك في البُكَرْ

وتستضيء الشمسُ منك بالشَرر ... وينجلي قدرُك في سيما القمر

والبحر يلقى منك موجًا ذا دُرر ... وتستحي إعجازَ صُنعك الفِطرَ [٢]

تخذت أفكار الورى مرآتَك ... فكيف لا تبلغ حتى ذاتك [٣]

---

(١) الصلاة قيام وسجود، يقول الشاعر إنهما رمز الدلال والضراعة (ناز ونياز) أي الخضوع والسيادة، ولكن بعض الناس صلاتهم سجود بغير قيام... إلخ.

(٢) تستحي الخليقة من صنعك المعجز، تراه أحسن منها.

(٣) إنك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ في هذه الحياة حتى ذاتك. فقد أضعتها بالتقليد.

مِرزا بيدِل

من شعراء إيران، ذهب إلى الهند أيام السلطان شاه جهان فأكرم السلطان وفادته. وهو شاعر صوفي له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثر الدقائق.

وقد أعجب إقبال بفكرة في بيت لبيدل فبنى عليه هذه الأبيات، وهي أن هذا العالم الخسي لا خطر له؛ بل لا وجود له إلا عند من ضاق عن إدراك الحقائق الكبرى التي يختفي معها هذا العالم، كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج لضيقها. وترجمة البيت في النثر.

«لو اتسع القلب ما ظهر هذا ... خرج لون الخمر من شدة ضيق

ذي سماءٌ وجبال وفجَاجْ ... ذاك حقّ أم عيونٌ في اعوجاجْ؟

فرِّق الآراء إثباتٌ ونفيّ ... أهي دينا أم خداع في الحجاج؟

عقدة قد حلّها بيدلُ حقًّا ... أعجزتْ مِن قبله كلَّ علاج:

«ما بدا ذا المرجُ لو في القلب ... بان لونُ الخمر من ضيق الزجاج»

الجلال والجمال

الشاعر من المعجبين بالقوة الداعين إليها، وهو يدعي هنا إلا جمال بغير جلال. يرى الكمال في شجاعة على لا في خيال أفلاطون. ويرى سجود السماء للقوة جمالا -وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء في رأي

العين سجود- والنغمة التي لا قة فيها نفخة ضائعة؛ بل لا يحب أن يجازي إلا بنار شديدة الالتهاب...

حَسبي كمالًا قوةٌ من حَيدر ... وكفاك من أفلاطُنَ الإدراكُ
وأرى جمالًا في بهاءِ أن تُرى ... في سجدةٍ للقوة الأفلاكُ
ولنَغمةٌ من دون نار نفخة ... ما الحسن إلا بالجلال يُحاكُ
لا أرتضي نار الجزاء ولم تكن ... وهَّاجةً ولهيبها درَّاكُ

المصوِّر

يرى الشاعر أن المصور وكل ذي فن ينبغي أن يظهر ذاته فيما يصور لا أن يحاكي الطبيعة، وأن المحاكاة موت.

قلّد الغربَ فنُّ عُجْم وهندٍ ... عمّ هذي البلادَ موتُ الخيال
شفَّني الغمُّ أن بِهزادَ عصري ... يُفقد الشرقَ بهجةَ الآزال [1]
يا خبيرًا بفنِّه فيه تمت ... صنعةُ العصر والعصور الخوالي
كم تَرى من خليقة وتُريها! ... أرِنا الذاتَ فوق هذي المجالي

(١) بهزاد مصور فارسي مشهور نبغ أيام الدولة الصفوية والشاعر يغتم لأن بهزاد عصره يقلد الغرب، فيفقد الشرق البهجة القديمة.

الغناء الحلال

يرى الشاعر أن الغناء وكل لحن، يحل إن كان فيه قوة الذات وحرقة الحياة، ويحرم أن أضعف الذات ولم يقبس من الحياة نارًا. الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه أن أماته. وفي الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النجوم، وتبرئ الإنسان من الخوف والغم، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة... إلخ. والنغمة الحية التي يحلها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطربًا يعلنها:

تفتح القلب نغمةٌ من غناء ... أيَّ فتح والقلبُ رهنُ هُمود؟

في صُدور الأفلاك لحنٌ خفيّ ... صاهرٌ حرُّه نجومَ الوجود

يهجُر الناسَ منه خوفٌ وغمّ ... وإيازٌ يسمو إلى محمود [١]

تيهُ هذي النجوم يفنَى ولكن ... أنت تبقى ونغمة التوحيد [٢]

قد أحلَّت شريعةُ الذات لحنًا ... لم يزل في انتظار شادٍ مُجيد [٣]

---

(١) السلطان محمود بن سبكتكين وخادمه إياز.

(٢) يشبه عالم الكواكب بالتيه ويقول: إنه يفنى ويبقى الإنسان ونغمته الموحدة.

(٣) اللحن الذي أحلته شريعة الذات وهو الذي يحيي النفوس ويقويها لم يظفر به أحد فلا يزال ينتظر مطربًا.

الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوُّف وَجدٌ أو برأيي ثوابُهم والعذاب
قرَّب الله مذهبي من فقيه عُرفت عنه سنَّةٌ وكتاب:
«إن سَرَت في اللحون دعوةُ موت حَرُم النايُ عندنا والرَّباب»[١]

النافورة

لا يَطيّبني مسيرُ النهر مطرِّدا مُسايرا تُربَه جنبًا إلى جنبِ
دع ذاك، وانظر إلى نافورةٍ بَسَقت تُصعِّدُ الماءَ منها قوةُ القلبِ[٢]

الشاعر

ينفر إقبال من شعر الرخاوة والذلة ويقول هنا: من ضعفت «ذاتهم» فليحترسوا من ألحان العجم فهي تدعو إلى الرقة والترف.

ولا بد للشعر أن يكون في حدة السيف، ملائمًا لمعركة الحياة مهما تكن صورته، كالخمر في زجاجة أو صراحية، ينبغي أن تكون محرقة. وليس لشوق الشاعر غاية ففي كل حين طور جديد وبرق للتجلي جديد.

في غابة الشرق نايٌ يبتغي نَفَسَا يا شاعر الشرق هل في صدرك

---

(١) هذا مذهبه؛ الألحان التي تميت النفوس حرام.

(٢) لا يعجب الشاعر بالنهر يساير الأرض، بل يعجب بنافورة قوية تقذف الماء عاليًا في الهواء.

من كان في ذاته من رقِّهِ خَورٌ ... فقل له من لُحونِ العُجْم يَحترِس
إناؤها من زجاج كان أو خزف ... اجعل بخمرك سيفًا لَمعُه قَبَس
لم تبصِر الشمسُ من دُنيا يُخال ... مَجدٌ بغير الجِلاد المرِّ يُلتمَس
طُورٌ جديد، وبرقٌ كلَّ آونةٍ ... لا قرَّب الله للعشاق ما التمسوا

شعر العجم

كم بشعر العُجم من سِحْر ولكن ... منه سيفُ الذات ذو حدّ كليلْ
صَمتُ طيرِ الصبح أولى نم غِناء ... إن سرى باللحن في الرَّوض ذبولْ
ليس ضربًا ما يشقّ الطود لكنْ ... ليس منه عرش بَرويز يَميل [1]
ينحت العصرُ أيا إقبالُ! صخرا ... فاحذَرنْ من كل ما يُبدِي الوَذيل

أصحاب الفن في الهند

تخيُّلُهم جَنازةُ كلِّ عشق ... وظُلمةُ فكرهم للحيِّ قَبرُ
ومَوثَنهُم به نقش المنايا ... وليس لفنهم بالعيش خُبرُ [3]

---

(١) ليس ضربًا ما لا يزلزل عرش برويز وإن شق الجبل. والإشارة إلى قصة فرهاد الذي شق طريقًا في الجبل ولم يظفر بشيرين كما وعده برويز.

(٢) الوذيل جمع وذيلة وهي المرآة. والشطر فارسي من شعر العراقي. ومعناه احذر من كل ما يبين في المرآة «أي هذا عصر حقائق لا خيالات، ينحت الصخور ويحطم كل ضعيف، فكل ما بدا في الزجاج فلا تركن إليه».

(٣) الموثن: معبد الأوثان.

يُنيمُ الروحَ في إيقاظ جسم ودون المجد يُسدَل منه سِترُ
يُسخِّر للأنوثة كل شيء لهم قصصٌ وتصويرٌ وشِعر [١]

الرجل العظيم

هو في الحب عميقٌ وهو في البُغض عميق
قهره فروق عباد الله بَرٌّ وشفيق
نشأته ظلمةُ التقليد بالناس تَحيق
غير أن الطبع بالإبداع والخَلق خَليق
هو في المجمع خالٍ ومن الحَشد طليق
مثلُ شمع الحَفل؛ في الحفل وحيد ورفيق [٢]
مثلُ شمس الصبح؛ فِكرٌ فيه نُور وبَريق
لفظه حرٌّ يسير لكن المعنى دقيق
نظرٌ فيه سديد عن بني العصر سحيق
ليس يدري أيُّ حال فيه أشياخُ الطريق

(١) الفن الهندي يعني بالشهوات الجسيمة ويفتن في تصويرها، فهو يوقظ الجسم وينيم الروح، ويسخر كل شيء للأنوثة.

(٢) يكون في جمع من الناس وكأنه وحده، له فكره ونظره. مثل الشمعة في الحفل رفيقة الحاضرين ووحيدة بحرقتها ونورها.

عالم جديد

الرجل العظيم يرى في منامه أو خياله عالمًا جديدًا فيعمل عزمه، فلا يستعصى عليه أن يحقق في عالم الحقائق ما رأى في الرؤيا أو الخيال.

وهذا العالم الجديد الذي يخلقه ناشئ من نفسه، فهيكله جسمه الصغير، وروحه تكبيره وإيمانه وعزمه.

من كان حيّ القلب في الدنيا فما ... يخفى عليه من القضاء ضميرُهُ
تجلو له رؤياه كونًا مُحدَثا ... بِدعَ المثال يَروقه تصويره
فإذا جَلا صوتُ الأذان منامَه ... شادَ الذي في حُلمه تعبيره
ولهيكلُ الدنيا الجديدةِ طينُه ... هذا الضئيلُ، وروحها تكبيره

خلق المعاني

خلقُ المعاني مِن الخلاّق مَوهِبةٌ ... لكنَّ للفنِّ في الفنّان إجهادا
من حرقةٍ في دَمِ الباني، مشيَّدةٌ ... حاناتُ حافظِ آوْزُونات بهزادا[1]
ما جوهرٌ يتجلى دون مَجهَدةٍ ... من ومضة الفأس نارت دارُفرهادا

(١) حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي الكبير وحاناته شعره. وبهزاد مصور فارسي مشهور عاش في أيام الدولة الصفوية. والزونات جمع زونة وهي معرض الأصنام أو الدمي يضرب به المثل في الجمال والزينة.

الموسيقى

دلَّ علـــى بـــردِ دَمِ المُغنِّـــي لحـــنٌ لـــه الوجـــوهُ لا تُنيـــرُ[١]
أنفـــاسُ زامـــرٍ سُـــمومُ لَحـــن إن كـــان لـــم يَطهُـــر بـــه ضـــمير[٢]
بالـــشرق والمغـــرب فـــي ريـــاض مـــن الـــشقيق شـــاقني المـــسير
فمـــا مـــررتُ بينهـــا بمـــرجٍ شـــقّت بـــه جيوبَهـــا الزُهـــور[٣]

لذة النظر

أي ذات حَوَى فتى الصينِ مَن قا ل لجـــلاده أمـــام الحمـــامِ:
منظـــرٌ رائـــقٌ، تمهَّـــلْ، تمهَّـــلْ لأرى لحظـــةً ومـــيضَ الحُـــسامِ[٤]

---

(١) اللحن الذي لا تنير له وجوه السامعين دليل على برود نفس المغني وخمود عاطفته.

(٢) لا بد للمطرب من طهارة الضمير لتكون ألحانه صدى الضمير الطاهر، وإلا فأنفاسه في اللحن سم للسامعين.

(٣) زهور الشرق والغرب لم يهج بها الطرب فتمزق جيوبها، كما يفعل من يغلبه الطرب من حزن أو فرح -يعني لم يظهر المطربون أسرار النفس، ويبدو مكنون الضمير الإنساني، ولا تزال «الذات» محجوبة.

(٤) رجل صيني قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الإعجاب بوميض السيف فقال للجلاد: أمهلني لأمتع النفس بهذا المنظر. فهذا يعجب به إقبال أي إعجاب ويرى فيه ذاتًا كاملة.

الشعر

لـم أدر سـرّ الـشعر إلا نكتـةً ... سِـيرُ الـشعوب تُبينُهـا تفـصيلا:
الـشعر فيـه مـن الحيـاة رسـالةٌ ... أبديـــةٌ لا تَقبـــلُ التبـــديلا
إنْ كـان مـن جبريـلَ فيـه نغمـة ... أو كـان فيـه نفـخُ إسـرافيلا [1]

الرقص والموسيقى

إن للـشعر بهجـةً ضـاء منهـا ... روحُ جبريـل والـرجيمُ اللعـينْ
ومـن الموسـيقى ابتهـاجٌ وشـوق ... وكـذا الـرقص نـشوَة وفتـون
قد سمعنا في الصين قولَ حكيم ... فيـه أفـشى مخبّـآت الفنـون:
إن للموسـيقى مـن الـشعر رُوحًـا ... ومـن الرقص جِسمُها في العيون

ضبط النفس

دأبُ أهـلِ الزمـان شكوى الزمـانِ ... لـيس للحـرّ آهـةٌ فـي طِعـانِ
قـد أسـر النجـوى إلـي علـيمٌ ... مـن شـيوخ القلـوب والعِرفـانِ:
إنَّ كَظـم النُـواح شـيمةُ ليْـثٍ ... ومـن النَـوح شِـيمة الثعلبـانِ

---

(١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية إن كان جميلًا هاديًا كنغمات جبريل (وجبريل رسول الوحي) أو كان فيه صعق وبعث كصوت إسرافيل.

الرقص

دع لأهـل الغـرب رقـصًا بجـسوم إنّ رقصَ الروح مِن ضرب الكليم
فبهــذا الــرقص سُــلطان وفقــر وبــذاك الــرقص هــمٌّ لا يَــريمْ

obeikandl.com

القسم الخامس
سياسيات المشرق والمغرب

انقلاب

أبمشرق أو مغربٍ نارُ الحياة ونورُها
فهنا تموت ذواتُها وهناك مات ضميرها
وأرى القلوبَ لثورةٍ مِلءُ البلاد زفيرها
فلعلَّ دنياك القديمةَ للممات مَسيرُها

تملق

العنوان في الأصل (خوش آمد) وهي عبارة فارسية بمعنى مرحبًا أو أهلًا وسهلًا. ومعناها بالأردوية التملق. وقد كتب إقبال هذه الأبيات حينما وضع الإنكليز نظام الاستقلال الداخلي لولايات الهند وكثرت مناصب الوزراء فيها.

جهلتُ أمورَ الناس غيرَ مجرِّبٍ ولكنَّ ربّ القلب للغيب يشهدُ
فقل لوزير ما بدا لك مادحًا فذانك دُستور وعهد مجدَّد
إذا قال: صقر الليل للبوم مادح فهل ذاك حق أو دِهانٌ يردَّد[1]

(١) إذا قال أحد المادحين للبومة: هي لا تطير إلا ليلًا أنها صقرا لليل، فهل هذا حق أو ملق؟

المناصب[١]

سِحرُ الفِرنجة قد أحاط بمؤمن ... يا ويح عيني قد هَمتْ عَبرَاتها
فلعلَّ منصِبَك الرفيع مبارَك ... فالذاتُ من جَراه حان مماتُها
هذي القضية معضِلٌ إخفاؤها ... وضَحتْ لكل مفكّر آياتُها:
«لا شِركَ في حكمٍ لعبدٍ إنما ... شُرِيت عقولُهمُ وخاب شُراتُها»[٢]

أوربا واليهود

إقبال توفي سنة ١٩٣٨ فهو لم يشهد حرب فلسطين، ولم ير تسلط اليهود على أوربا وأمريكا كما رأينا؛ ولكنه نظر إلى الحوادث نظرة عارف خبير.

نظام ومالٌ وعيشٌ رغيدٌ ... وظُلمة صَدر لها القلب يَقلي
دخان المصانع في الغرب داجٍ ... فواديه ليس بأهل التجلّي
رأيتُ حضارتَه في احتضار ... تموت اعتباطًا، وما الموت
فليس غريبًا تولّى اليهود ... كنائسَه بعد هذا التولّي

---

(١) هذه الأبيات قيلت في الأحوال التي أنشئت فيها الأبيات السابقة.

(٢) الأمم المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها في الحكم مهما وضعوا لها من نظم. شريت: بيعت، والشراة البائعون.

(٣) تموت في شبابها، والموت لا يمهل.

عبودية الأنفس

لا تخلو الأمم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتى إلى غاية واحدة، هي أن يروضوا الأمة على الخضوع، ويمحوا من سجاياها الإقدام حتى ترضى بالرق، هذا مقصدهم وكل تأويل في القول تحيل لهذا المقصد.

ليس يخلو زمانُ شَعب ذليل ... من عليم وشاعرٍ وحكيمِ
فرقتهم مذاهبُ القول لكن ... جمع الآراءَ مقصدٌ في الصميم:
«علّموا الليثَ جفلة الظبي ... قصص الأُسْد في الحديث
همُّهم غبطة الرقيق برقٍّ ... كلُّ تأويلهم خِداع عليمِ

الروس الشيوعيون

إن سَيرَ القضاء جِدُّ عجيبِ ... أيُّ سِرّ حوى ضميرُ الزمان
ليس يألو الصليبَ سرًّا قَبيلٌ ... كان يرجو النجاةَ بالصُلبانْ
أمر الوحيُ مُلحِدي الروس «هُدّوا ... ما أقام القسوسُ من أوثان»

(١) في هذا البيت مقصد القائلين المذكورين في البيتين السابقين.

اليوم والغد

مَـن عَـداه ليومِـه فـي جهـادٍ نـورُ نفـس وشُـعلةٌ فـي الكُبـودِ
مالَـه الحـقّ فـي مَتـاع وهـمّ يستـسِرّان فـي الغـد الموعـود
لـيس أهـلًا لمعـرَك الغـدِ مَـن فـي سـيره (اليـومُ) لـيس بالمعـدود

المشرق

جَيـبُ الـشقائق مـن شَـدوي غـدًا ونـسمةُ الـصبح رَوضًـا تطلـب
مـا «مـصطفى» أو «رضـا» جَلّـي فالروح في الشرق جسمًا تطلب
وحـقُّ ذاتـي عَقـابٌ غيـرَ أنّ لهـا ذا العـصرُ جِـذعًا وَحـبْلًا يطلـب

سياسة الإفرنج

يـا رب نِـدّك فـي غـربٍ سياسـتُه ومـا تعبَّـد إلا إلهـامَ والرُوسـا[٤]
خلقتَ إبليس فردًا من لظى لهب ومـن تُـرابٍ أقامـت ألـفَ إبليـسا

---

(١) أنا شدوت حتى مزقت شقائق النعمان جيوبها وجدًا. ونسيم الصبح لا يزال يطلب روضًا ينضر أزهاره.

(٢) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي كان مظهرًا لروح الشرق، فهي تطلب الآن بدنا تظهر فيه.

(٣) وذاتي تستحق العقاب بما دعت الناس إلى اليقظة والحرية، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلًا وجذعًا ليصلبني ليس قادرًا على صلبي.

(٤) الرؤس: أي الرؤساء؛ أي لا يعبد هذه السياسة إلا رؤساء أوربا وحكامها.

العبيد...

تعلمتُ بين الغرب والشرق حكمةً ... أراها لأهل الرقّ أجدى الفوائدِ:
فلا ملك أو فقرًا ودينًا وحكمة ... يؤسس إلا فوق صخر العقائد
فإما خلا منها ضميرُ جماعة ... فأفعال رعديد وأقوال هامدِ

إلى أهل مصر

من أبي الهول أتتني نكتة ... وأبو الهول طَويَ السرَّ القديم[1]
بدّلتْ سَيرَ شعوب جملةً ... قوةً لم يَجفُها العقلُ الحكيم
طبعُها في كل عصر ماثلٌ ... يُبدِلُ الشكلَ ويبَقى في الصميم
فهي طَورًا في حُسام المصطفى ... وهي طورًا في عصا موسى الكليم

(١) أبو الهول: رمز العقل والقوة، رأس إنسان على جسم أسد.

obeikandl.com

الحبشة
(١٨ آب سنة ١٩٣٥)

عِقبانُ أوربا بغيرِ علم ... في جيفة الأحباش أي سمّ
قد آن للمَيتةِ أن تَجيفا ... حضارةٌ تكملُ بالمَخزاة
وعيشُ أقوام على الغارات ... وكل ذئبٍ طاردٌ خروفا
وجهُ الكنيسة اكتسى شَنارا ... روما أراقت ماءَه نهارا
يا بَابُ قد أضحى الورى أسيفا [1]

(١) يعني البابا رئيس الكاثوليك.

obeikandl.com

أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة[١]

يصور الشاعر في هذه الأبيات عمل الساسة بأوامر أبيهم إبليس؛ وإنما يأمرهم بإبعاد أهل الأديان كلها من الدين ولا سيما المسلمون، هؤلاء الصابرون المستميتون. وقد خص العرب الذين نشأ الدين في حضانتهم والأفغان الذين تسيطر عليهم حمية الدين... إلخ.

ثم أوصاهم بإخراج إقبال من الروض؛ لأن نفسه يشعل الحقائق؛ أي يثير النار في الشباب فيبعدهم عن سياسة إبليس.

عليكم بالبَرَهْمَن فاربِكوه ... بأشراك السياسة والحبالِ
وأصحابَ الزنانير اطردوهم ... من الدّير القديم بالاحتيالِ
وذلكم الصبورُ على الرزايا ... ومن هو بالمنايا لا يبالي[٢]
فروحَ محمد منه اسلبوه ... لتعملَ فيه أحداثُ الليالي
وفي العَرب اقذفوا في كل فكر ... من الإفرنج ألوانَ الخيال
بأرض العُرْب للإسلام كيدوا ... ليُسرع في الحجاز إلى الزوال
وفي الأفغان بالدين اعتصام ... وليس عِلاج هذا بالمحال
عليكم بالفقيه فأخرجوه ... من الأرض المنيعة والجبال
وقُوّامًا على الحرَم اسلبوهم ... لهم سُننًا تحيد عن الضلال[٣]

---

(١) كتبت في شيش محل، دار أمير بهوبال.

(٢) ذلكم الصبور... إلخ يعني المسلم.

(٣) يريد بقوام الحرم من تولى هداية المسلمين إلى دينهم في الحرم وغيره.

غَـزالَ المـسك مـن خـتَنٍ أثيـروا وخَلّوا الأرض من هـذي الغـوالي
وإقبـــالٌ لـــه شَـــذْوٌ مثيـــر بـه زَهَـر الـشقائق فـي اشـتعال
مـن المـرَج اطـردوا هـذا المغنّي لتحمـوا النـاس عـن هـذا المقـال

جماعة الأمم الشرقية[٢]

سُـخِّر المـاء والهـواءُ مـسخَّرْ لـيس بِـدعًا إن القـضاءُ تغيّـرْ
جبـروتُ الفـرنج غَرَّتـه رؤيـا علّهـا غيـرَ مـا رآه تُعبِّـر
إن جِنيـوا للـشرق طهـرانُ صـارت فلعـلَّ التبـديل لـلأرض يُقَـدر

الملك الخالد

إنـي لَغـواص المعـاني فِطـرةً لكننـي بَحـرَ الـسياسة أحـذرُ
مـا إن يُحـبُّ مُلكًـا خالـدًا ولـوَ أنَّ فيه من الرُؤَى ما يسحَر
فَرهادُ أبقى الدهُر نحتَ صخوره لـم يبَـقَ مـن پرويـزَ مُلـكٌ يُـؤثَر

---

(١) بلاد ختن في تركستان كانت معروفة بمسكها، وغزال ختن مشهور في الشعر الفارسي وما يتصل به. ويريد الشاعر أخلوا الأرض من المعاني الجميلة التي تعطرها؛ أي أخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة والآمال العالية.

(٢) كتبت في شيش محل (دار أمير بهوبال).

الجمهورية

بـدا الـسر فـي قولـةٍ مـن أريـبٍ ... ومـا كـان مِـن قَبلـه يُعلـنُ:[١]
نظـام الجمـاهير حُكـمُ بـهِ ... تُعَـدُّ العِبـادُ ولا تـوزَنُ

أوربا وسوريا

أهـدت الـشام إلـى الغـرب نبيًّـا ... هـو عَـفٌّ ومُـواسٍ وصَـبور
ومـن الغـرب إلـى الـشام هَـدايا ... مـن قِمـار ونـساء وخمـور

من موسوليني
(إلى أنداده في المشرق والمغرب)

أرى العـصر يـأبى مـن مُـسولينَ ... وأخيـارُ أوربـا علـيَّ غِـضابُ
كلانـا بـآلات التمـدنِ آخـذٌ ... أتـنقم أفعـالَ الـسيوف حِـرابُ
وقـد نَقمـوا منّـي غـرامَ تَملّـكٍ ... أمـا ثـار منهم بالـضعاف ضِـرابُ
لِمَن شعبَذاتُ الحكمِ تُبقى مَمالكا ... ولا مُلـكَ أو ملـكٌ بهـنّ يُـصاب
أيـنفُخُ فـي الأعـواد أبنـاء قَيـصرٍ ... ويُجبَـى إلـيكم عـامر ويبـاب[٢]

---

(١) ستندل.

(٢) يشغل أبناء الرومان بالزمر والموسيقى وغيرهم يملكون الأرض ويضربون الخراج حتى على الصحاري.

نهبتم خيامَ البدو والزرعَ والقرى وكم كان منكم للعُروش نِهاب
قصَدنا من التمدِين قتلًا وغارة أأمسُكم فخرٌ ويومي عابُ؟

شكوى

مستقبلَ الهند من يدري؟ وما يا ويحها، درّةً في التاج تُرتَهنُ[١]
دِهقانها من ظلام اللحد مطرَّحَ ولم يزل مِزَقًا تحت الثرى الكفَن
الجسم والروح للباغين قد رُهنا لم يَبق في أرضها دار ولا سَكن
رضيتَ رقًّا لأوربا بلا أنَفٍ فمنك شكواي لا منها، وبي حزن

انتداب

مَلَكُ الحضارةِ أين يُحتَم سَيرهُ؟ في عصرنا هذا السؤال يسيرُ:
في حينُ لا خمرٌ ولا قَمْرٌ ولا ضِيقُ الثياب على النساء يجور
والروحُ في بدنٍ قويٍّ خافقٌ لكن على سَنَن الجدود يسير
حيثُ المدارس غائضٌ ينبوعها وابن البداوة في الذكاء جَسور
يُفتى جهابذةُ الفرِنْجة أنما هذي البقاعُ من التمدّن بُور[٢]

(١) كان الإنكليز يقولون: إن الهند أثمن درة في تاج الإمبراطورية.
(٢) حيثنما وجد الناس على الأخلاق القويمة والفطرة السليمة قال الفرنج: هذه الأرض في حاجة إلى التمدن فأرسلوا إليها ملك التمدن باسم الانتداب.

السياسة اللادينية

ما الحقّ مخفٍ عن فؤاديَ سِرّه ... فلقد حباني الله قلبًا مُبصرًا
فسياسة اللادينِ عندي خِسَّة ... مات الضميرُ وإبليسُ افترى[1]
لمّا قلَى حكُم الفرنج كنيسةً ... ساسوا كشيطان بلا قيدٍ جرى
شَرِهَتْ لأموال العباد كنيسةٌ ... فإذا الخَميس سفيرُها بين الورى

شبكة التمدين

أمانتُها علَتْ عن كل ريب ... وإقبالٌ مُقِرّ دون نُكرِ
فأوربا نصيرة كل شَعب ... تشكّى الدهرَ من ظلم وضُر
كرامات القساوس أن أضاءوا ... سراجَ الكهرباء بكل فِكر
ولكن مِن فلسطينٍ بقلبي ... وللشام الكسيرة حرُّ جَمر
وتلكم عُقدة ليست لحل ... تُلاقي كلَّ تدبير بِعُسر
من الترك الجُفاة نَجوا فلاقَوا ... بأشراك التمدن شَرَّ أسر[3]

---

(١) إبليس افتراها.

(٢) الخميس: الجيش.

(٣) في هذا استهزاء يقول: إن أوربا ادعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك؛ ولكنها أوقعتهم في شر أسر.

نصيحة

قال لُرْدٌ من الفِرِنج لنَجلٍ ... أبغ مَرأى يدوم فيه المراد[١]
أظلَمُ الظُّلم للمساكين إعلام ... خِرَافٍ شريعة الآساد[٢]
إنَّ للملك سِرّه فاكْتُمَنْه: ... لا تَرُم بالسيوفِ قهَر العباد
وبحمِض التعليم فاغمِس نفوسًا ... ثُمّ صُغ طينها وفاقَ المُراد
أين منه الإكسير؟ هذا محيلٌ ... جَبلَ التِبر كَومةً من رَماد

قرصان وإسكندر

إسكندر:

جزاؤك في سَلاسلك ارتهانٌ ... أو التصميمُ من سيفي العتيقِ[٣]
فقد صيرتَ وُسعَ البحر ضيقًا ... بما أمعَنتَ في قطع الطريق

القرصان:

إسكندرُ! للفتوة لم تَوَقَّ ... أيجمُلُ بالفتى فَضحُ الرفيقِ؟
فإنَّ القتل دَأبي لا أماري ... كذاك القتل دأبُك يا صديقي
كلانا اليوم قرصانٌ: ببَرّ ... تَصول، وصُلتُ في بحر عميق

---

(١) أطلب المنظر الذي لا ينتهي منه العين؛ أي المطمع الذي لا يحد.

(٢) أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد؛ أي تعلم الأمم الذليلة طريق الحرية والقوة.

(٣) صمم السيف أصاب المفصل فقطعه.

عصبة الأمم[١]

مِسكينةٌ منذ زمان تُحتَضرْ ... لافاهَ مِقوَلي بسيّئ الخَبَرَ[٢]
وموتُها محتَّم لكنَّما ... يدعو القسوس أن يزولَ ذا الخطر
عجوزُ أوربا يجوز عَيشُها ... على رُقَي إبليسَ أيامًا أُخَر[٣]

الشام وفلسطين

مَرحَى لحانات الفرنج فقد ... ملأت بهنّ زجاجَها حَلَبُ
إن في فلسطين اليهود رَجَتْ ... فليأخذَنْ أسبانيا العَربُ
للإنكليز مقاصدٌ خفيت ... ما إن يُراد الشَهد والرُطَب[٤]

أئمة السياسة

ما رجائي بساسة قد أسَفُّوا ... وإلى الأرض أخلدوا إدراكا
نظراتٌ إلى ذُباب ونملٍ ... فهمُ العنكبوت مدّتْ شِباكا
حبّذا الركبُ قد هداه أمير ... ذُو مرامٍ تُجاوز الأفلاكا

---

(١) العنوان في الأصل جمعيت أقوام.

(٢) يعني لا أود أن أخبر بموتها.

(٣) الظاهر أن الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم في آخر سنواتها.

(٤) بلاد العرب كلها معروفة في الهند بالنخل، ويقول الشاعر: ليس قصد السياسة الإنكليزية ما تعلن من عمران البلاد؛ بل لهذا مقاصد خفية.

obeikandl.com

نزعات العبودية

بأسبابِ سُقم الشعوب خَفاء ... يقصّر في شرحهن البيانْ:
بشرع الأسود إمام العبيد ... يرى دائمًا حِكمةَ الثُعلبانْ [1]
كليمُ الإله يُرَى لعنةً ... على قومه في خُطوب الزمان
إذا كان في السرِّ هذا الكليمُ ... لقُوّةِ فرعونَ طوعَ البنان

صلاة العبيد

جاء إلى لاهور وفد من الهلال الأحمر التركي فصحبهم إقبال في صلاة بالمسجد الكبير، فأطال الإمام الصلاة فسأل أحد رجال الوفد لماذا يطيل الصلاة أمامكم هذه الإطالة فكتب إقبال هذه الأبيات:

قال بعد الصلاة حِلفُ جهاد: ... كم يطيلُ الصلاةَ فيكم إمامُ
ما درى ذاكُمُ المجاهد المؤمن ... صلاةُ العبيد كيف تُقامُ
كم لدي الحُرّ في الحياة كفَاحٌ ... غَيرةُ الحرّ للشعوب قِوام
حُرِم العبدُ حرقةَ الكد عَجزًا ... فعلى وقتِه المُضيُّ حَرام
لا تَعجَّبْ إذا أطال سجودًا ... ما لديه سوى السجود مُرام
رَبِّ وفِّقْ أئمة الهندِ يومًا ... لسجود تحيا به الأقوام

---

(١) أسباب مرض الأمم أئمة أذلة يرون في شريعة الأسود فلسفة الثعالب، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة إلى مذهب الخنوع والاستكانة. والحكمة هنا الفلسفة، والثعلبان الثعلب الذكر.

إلى عرب فلسطين

لا يـزال الزمـانُ يَـصلَى بنـار ... لم تزل في حَشاك دون خمود [١]
لا دواءٌ بلنـدن أو جنيـوا ... بوريـد الفـرنج كـفُّ اليهـود [٢]
ومـن الـرقِّ للـشعوب نجـاةٌ ... قـوةُ الـذات وازدهـار الوجـود

الشرق والغرب

علـة الـشرق ذلـةٌ واقتـداءُ ... ونظـامُ الجُمهـور فـي الغـرب داءُ
مَـرضُ القلـب والبـصيرةِ فـاشٍ ... مـا بِـشرقٍ ولا بغَـرب شـفاء

نزعات التسلط
(إصلاحات)

أرى رحمـةَ الـصياد سِـترًا لقهـره ... ولم يُجدِ فينا ذا الصفيرُ المجدَّد [٣]
وقـد زيّـن الأقفـاصَ بـالزهر ذابـلًا ... لعـلّ أسـيرًا للإسـار يُغَـرّد

---

(١) يعني أن النار التي سرت في الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال في نفس المسلم لم تخمد.

(٢) يعني يقبض اليهود على وريد أوربا.

(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الإنكليز إصلاحًا حين جعلوا للهند نوعًا من الحكم الداخلي، يقول: ما يزال الصياد قاسيًا وإن تظاهر بالشفقة ولا يرقه أن تجدد له غناء. وإنما همه أن يرضي الأسير فهو يزين الأقفاص بزهور لا نضرة فيها لعل الطائر يرضى بقفصه.

obeikandl.com

القسم السادس
أفكار محراب جل الأفغاني

للشاعر بالأفغان إعجاب لقوتهم وبسالتهم، واعتزازهم بجبالهم وحميتهم الإسلامية.

وقد تخيل أن شاعرًا منهم اسمه (محراب كَل) أنشأ هذا الشعر الذي في الصفحات التالية، يبين عما في نفوس هؤلاء الناس وما في معيشتهم كما يريد إقبال...

-١-

يا جبالي أيّانَ عنكِ المسيرُ ... وترابُ الآباء هذي الصخورُ
لا زهورٌ ولا صَدى عندَليبٍ ... فيك منذ الآزال تأوى الصقور
جنّتي فيك مَخرَم وشعاب ... ماؤك النُّور، والترابُ العبير
لن يكون الشاهينُ عبد بُغاثٍ ... ألحفظ الأبدان روحي أُبير
خلعة الإنكليز أم سُحْقُ ثَوْبٍ ... إيه فقري الغيور! ماذا تشير؟

-٢-

تنـــافُرُ النـــاس دائـــم أبـــدًا لـستُ ولا أنـت القـضاء فـصّلَهُ
في الذات غُـصْ، للزمـان ذا أمَـل دواؤُه فـــي الجـــروح أرســـله
تبقـى علـى الـدهر واحـدًا بطـلًا إن كان في القلب «لا شريك له»

-٣-

يجـوز أن تُبـدَل أنـتَ، لا تَخَـلْ بـــدعوة أن القـــضاءَ يُبـــدل
إذا سـرى فـي ذاتـك انقلابهـا فجـــائز أن الفـــضاء يُبـــدَل
يبغـي الـشراب والفنـاءُ إذ تـرى رسـم «الـسُّقاةِ» والإنـاءَ يبـدل
تـدعو بتحقيـق الرجـاء جاهـدًا ودعـــوتي أن الرجـــاء يبـــدل

-٤-

ومـا فلـك جـائزٌ فـي الـسِيَرْ ومـــاذا ذكـــاءُ ومـــاذا القمـــرْ؟
أرى ركبهـا جاهـدًا فـي المسير وأقعـــدها طـــولُ هـــذا الـــسفَر
سِـكندَرُ زمْجَـرَ كالرعـد حينًـا وعنـدك يـا مـوتُ صـدقُ الخبـر
وعاثـــت بـــدهلي يـــدا نـــادرٍ بـضربة سيف حكـي فاختـصر[1]
وتبقـــى الجبـــالُ وأفغانهـــا لـك الملـك والحكـم ربَّ القُـدَر!

(١) نادر شاه ملك إيران وأفغانستان، فتح دهلي وتوفي سنة ١١٦٠هـ.

تُـذلّ الحـوائجُ صـيدَ الرجـال ... تـرى الليـث كالثعلـب المحتقـر
إن الـذاتُ أيّـدها فَقْرهـا ... فعنـدي وعنـدك مُلـك البَـشرْ
قِـوامُ الـشعوب بجُـرّ فقيـرٍ ... إلـى سُـدّة المُلـك مـا إن نظـر

-٥-

مـدارسُ ثـم ضوضـاءٌ ولهـوٌ ... وغـمّ دام فـي العـيش الـوفير
وسـمّ الحـر هـذا لـيس علمًـا ... إذا كـان الجَـدَى كـفَّ الـشعير [١]
ومـا أدب وفلـسفة غنـاءٌ ... قِـوام الفـنّ فـي جَهـد المـسير [٢]
تحكـمَ فـي الطبيعـة ربُّ فـنٍّ ... يـضيء الليـل كالـصبح المنيـر
فـربُّ الفـن مِـن بركـات فـنّ ... يطـوعُ لحكمـه كـلُّ العـسير
وذلـك إن يـشأ قطـرت عليـه ... أَيـاةُ الـشمس كالطـل النـضير [٣]
عـالَم التجديـد إن يظفُـر بحـرّ ... موجِـدٍ مـن حولـه طـاف الزمـانْ
لا تَـدعْ ذاتَـك بالتقليـد لَغـوًا ... جـوهرٌ فـردٌ فحُطْـه بـصِوانْ
بـارك التجديـدُ قومًـا لـيس فـيهم ... غيرَ حفلِ الأمس، ذكرى وعِيان [٤]
خـشيتي أن وغـى التجديـد فـي ... علـى التقليـد للغـرب دِهـان

(١) العلم الذي جدواه كف من شعير؛ أي متاع قليل، ليس علمًا ولكن سما للأحرار.
(٢) الفن بالجهد المستمر لا بالأدب والفلسفة.
(٣) رب الفن إن شاء قطرت عليه أياة الشمس (أي شعاعها) كالندى فجعلها مادة فنه...
(٤) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ولا يرون إلا صور الماضي.

obeikandi.com

-٧-

تبـــدل الأقـــوامُ فـــي البُلـــدانِ فـــي الـــروم والـــشام وهندُسْـــتان
يـــا ابـــن الجبـــالِ هُـــبّ للزمـــان وأدرْكـــــن ذاتَـــــك بالعرفـــــان
ذاتَك بالعرفانِ
يـــــــــــا غافـــــــــــل الأفغـــــــــــانِ

ذا موســـــم ومـــــاؤه عُبـــــابُ وعَـــــسجدًا يُنبـــتُ ذا التـــرابُ
مـــن لـــم يـــروّ زرعَـــه احتـــساب فكيـــف يُـــدعَى الغِـــرُّ بالـــدهفان
ذاتَك بالعرفان
يـــــــــــا غافـــــــــــل الأفغـــــــــــان

مـــا لـــم يهـــج فـــي موجـــه الزخّـــارِ فـــأيُّ بحـــر ذاك فـــي البحـــار؟
مـــا لـــيس فيـــه ثـــورة الإعـــصار فكيـــف يـــدعى عاصـــفَ الأكـــوانَ
ذاتك بالعرفان
يـــــــــــا غافـــــــــــل الأفغـــــــــــانَ

مـــن اهتـــدى ونفـــسَه أصـــابا مقلّبًـــا فـــي طِينـــه الترابـــا
فحـــرثُ ذا العبـــدِ قـــد طابـــا يُفـــدَى بكـــل الجـــاه والـــسلطان
ذاتك بالعرفان

يـــــــــا غافـــــــــل الأفغـــــــــان

جهلـكَ هـذا مـا بـه مـن عـارِ قـد صـيّر الجهـلَ مـن الفَخـار
كـــم عـــالمٍ فاضـــلٍ ممـــاري متـــاجرٍ بالـــدين والإيمـــان
ذاتك بالعرفان
يـــــــــا غافـــــــــل الأفغـــــــــان

-٨-

يـدعي الـزاغُ أن ريـشَك قُـبح ويقـول الخفـاش: أعمـى جهـول
مـا رُذال البُغـاثِ يـا صقُر! تـدري فـي عَنـان الـسماء كيـف تـصول
كيـف تـدري بحـال طـائرِ عـزمٍ كلُّـه فـي المطـار عـينٌ تجـول
لا يـسفّ العـشقُ دأبَ الهـوسِ بـــذبابٍ بازيًـــا لا تَقِـــسِ
ربّ روض حـال حتـى ليَـرى عنـــدليبٌ عـــشَّه كـــالمَحبِس
مُزمـعُ الأسـفار لا يبغـي صَـدًى مـــن أذان برحيـــل الغلَـــس
أتـــرى قافلـــة المـــوج لهـــا فـــي مـــسير حاجـــةٌ بـــالجَرس
خـــدعَ العـــينَ فتـــى مدرســـةٍ فبـــدت فيـــه حيـــاةُ الأنـــسِ
وهـو مَيْـتٌ ومـن الغـرب اجتـدى مـا سـرى فـي صـدره مـن نفَـس
إن تُـــرِد تربيـــةَ القلـــب فمِـــن نظـــر المـــؤمن شَـــزْرًا فـــاقبِس

-١٠-

سـوادُ عيـون عِتْرتِـه فَتـيٍّ حليـفُ طهـاة وفتَـى ضِـرابِ
يُرى في السلم ظبيًا ذا جمال وفي يوم الكريهة ليثَ غاب
بـه نـار تُحـرّق كـل شـيء وحَسبُ الغاب من شَرر الثقاب
حبـاه الله أبّهـة ومُلكـا بفقـرٍ حيـدريٍّ واحتسـاب
سبيلُ التاج حسر الرأس منه فـلا تنظـر إليـه بارتيـاب[1]

-١١-

فـي بارحاتـك لألأت أنـواره يَسطِيع نُورًا ذا السراجُ الخابي[2]
يـشكو الـضعيفُ مـن الزمـان والحـرُّ فيـه باسِـمٌ لِحـراب
من صوت طير الصبح يدهشَ ذا أتـراه أهـلَ تطـاعنٍ وضِـراب
حـذري لأنـك فـي طِباع طفولـة والغـربُ تـاجر سُكّرٍ وجُـلاب[3]

(١) وهو حاسر الرأس ولكنه طموح إلى التاج، أو هو في همته وعزته كصاحب التاج فلا تحقره بأنه حاسر.

(٢) هذا السراج الخابي هو الذي أضاء لك البارحة، فهو أهل لأن يضيء مرة أخرى. يعني الإسلام.

(٣) يخاف على المسلم أو الشرقي؛ لأن فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب. وأوربا تحسن التجارة بهما، فهو يتهافت على تجارتها.

-١٢-

بـــــلا ديـــــنٍ ولا تـــــينٍ هَـــوتْ فـــي الفـــخِّ رجـــلاه[١]
دواء العـــــاجز المغلـــــوب «لا غـــــلاّبَ إلا هُـــــو»
وصـــــيّادُ المعـــــاني مـــــا رَجَـــتْ فـــي الغَـــرب عينـــاه
فـــــضاءٌ مونِـــــقٌ لكـــــن غـــــزالُ المِـــــسك خَـــــلاه[٢]
يقـــــوِّم ذاتَـــــه سَـــــحَرًا بـــــدَمع العـــــين أوّاهُ[٣]
فهـــــذا الزّهْـــــر أحـــــسّنُه علـــــى الأمـــــواه تلقـــــاه
ودَيـــــر الكـــــون، زُونُ الريـــــ ـــــح والألـــــوان معنـــــاه[٤]
علـــــى الكُفـــــار مُـــــستَولٍ وذو الإيمـــــان مـــــولاه
إمـــــامَ المـــــسجدا أمنعـــــه أميـــــرًا حـــــين يغـــــشاه
زوي المحـــــراب حاجبـــــه ولـــــم تُعجبـــــه تقـــــواه[٥]

---

(١) يشير إلى مصطفى كمال وأتباعه سياسة لا دينية، واتخاذه الحروف اللاتينية للغة التركية.

(٢) لا يجد صياد المعاني في أوربا غزالًا مسكيًا يصيده؛ فإنما هي فضاء لا صيد فيه؛ أي: لا يجد المعاني الجميلة التي يحبها.

(٣) الأواه: المتعبد الرقيق كثير الدعاء.

(٤) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح، يستعبد الكفار ولكنه مسخر للمؤمن.

(٥) تخيل زاوية المحراب تقطيبًا لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة.

-١٣-

دنيـاك فـي عينـيَّ شَـيءٌ آخـرُ ... أنّي لعينك -ليت شعري- تُظْهرُ
مـاذا التقلّـبُ فـي عقـول شـبابنا ... فـي كـل صـدر قـد تبـدّى مَحشَر
شيخَ المساجدا ما دُعاؤك سُحْرة ... أبـه الحيـاةُ بـلا جهـادٍ تَظفَـر [١]
ما «الذات» يُرجى في رِباطٍ خَلقُها ... هـل للـشرار مـن الرمـاد تَـسعّر [٢]

-١٤-

كـل عـشق دون إقـدام هـوى ... ويـد الله بعـشق مخطـر
ويلتـا مـن تـرف! أيـن فتًـى ... تَخِـذَ الأهـوالَ زاد الـسفر
خَلـوةُ الأطـوادَ ليـست وَحـشةً ... يعـرف «الـنفس» بهـا ذو البـصر
عِلـمُ فقـرٍ لـسالكٍ غيـرُ صـعب ... حـدّث النـاسَ عـن هُـداه الـضميرُ
لا يكـون الفـولاذُ جـوهَر سَـيفٍ ... إن يكـن فـي الطبـاع منـه حريـر
إن قَهـر الإلـه فقـرٌ ذليـلٌ ... وسـبيل الـسلطان فقـر غَيـورُ
قـد سـباك الفـرنجُ نفسًا ولكـن ... أنـت يـا مـؤمن البـشير النـذير [٣]

(١) في الأصل شيخ الحرم. والمراد به المساجد عامة.
(٢) الرباط مقام الصوفية. وفي الأصل خانقاه.
(٣) جاء هذا المصراع في الأصل بالفارسية.

-١٦-

مَـــوتُ الـــشُعوب بُعـــدُها عـــن جَـــذَبات المركـــزِ
والـــذات إمـــا رُكـــزت فللمعـــالي تُركَـــزِ
فقـــر تـــراه شـــاكيًا جـــور الزمـــان اللحـــز
بـــاق عليـــه مـــسحة مـــن اجتـــداء الكـــزِز
ولـــم يـــزل ميـــسّرًا للبَـــرِّ فعـــلُ المعجِـــز
أن يجعـــل الـــصخور كالـــذ م رّات غَيـــر مُعجَـــزِ [1]
فـــأين يـــا مـــؤمن أنـــت اليـــوم لـــم تُبَـــرَّز
مـــا فـــي جهـــاد لـــذةٌ جَمْـــرُك فيـــه مُعـــوزي [2]
يـــا شـــمسُ مـــن ســـرادق المـــشـ ـــرق هيّـــا فـــابرُزي
واكـــسي جبـــالي حُلّـــةً تُزهَـــى بلـــون القرمـــز

(١) لا يحول دون همة الحر شيء من عالم المادة، فهو يحيل الصخور ذرات فلا تكون في طريقه عقبات.

(٢) ليس في الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الإيمان. وجمر المؤمن يفتقد اليوم في الجهاد.

-١٧-

إنْ يكـن فـي الألـوف ربٌّ يقـينٍ نفَـخَ النـارَ فـي شَـباب وشِـيبِ
ربمـا تنـشئ الـصحاري فقيـرًا يخلـقُ الـدرّ مـن حـصى فـي
بيـراع لـك اكتـبْن لـك حظًّـا لـم يَخُـطّ الجبـينَ ربُّ الغيـوبِ[٢]
ذا الفـضاء الـذي يُـسمّى سـماءً لـيس شـيئًا لـدي العُقـاب النجيب
هـو فـوق الـرءوس يـدعى سـماء وهـو أرض تحت الجناح الهَبوب

-١٨-

أي قـولٍ لـشيرشاه رشـيد: فـي اختـلاف القبيـل ذلّ العبيـد [٣]
خلعـوا ثـوب أمـة جَمعـتْهم وازدهـوا بـالوزير والمحـسود [٤]
ذهـب الـدين فـي الجبـال شـعاعًا كـل حـزب لبُـده فـي سـجود[٥]
حَـرَمٌ فيـه حُرمـةِ الـلات ترعـى فحبـاك المـولى بـضرب سـديد [٦]

(١) الجيوب وجه الأرض. وهو يشير إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه.
(٢) اكتب حظك بقلمك، فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك كما تزعم.
(٣) شيرشاه أحد أمراء الأفغان.
(٤) الوزيري والمحسود من قبائل الأفغان في إقليم الحدود من باكستان.
(٥) البد: الصنم.
(٦) هذا حرم ولكن فيه أصنام؛ فالله يوفقك لضرب تكسر فيه الأصنام، كما كسر الرسول أصنام الكعبة.

obeikandl.com

-١٩-

ليس الذي يُدرك الألوانَ ذو ... بل مُغْتَنٍ عن ضياء الشمس
يا مؤمنا قد شأى الإفرنج منزلَةً ... تقَدّمَنْ. ليس هذا مُنتَهى السفرِ
وحانةُ الغرب للصادي مفتّحة ... ما السكر فيها بعلم العصر بالنكُرِ
لك المماتُ بهذا السكر مُستترٌ ... إن لم يكن فيك للتوحيد من
هل يَسمعنَّ بنو الخانات موعظتي ... في شملة لست ذا تاج ولا سُرُرِ[٣]

-٢٠-

مقاصد الفطرة العلياء يحفظها ... مَن عاش في البيد أو في الطود
يراقب السِحرَ في التمدين يُبطله ... في فقره أودع الخلاقُ سُلطانا
للحسن واللطف صاغَ الروضُ ... وتُنشئ البيد للأقدام عِقبانا
يا شيخُ كم تُعجبُ الأبصارَ ... لكنَّ في البيد فاروقًا وسَلْمانا[٤]
هل يعرف الدهر للإسلام من ... في نشوة تتحدَّى السيف غضبانا

---

(١) ليس بمبصر الذي يرى الألوان؛ بل ما أدرك الحقائق والأسرار التي لا يحتاج في رؤيتها إلى الشمس والقمر.

(٢) لا ضير في أن تأخذ علوم العصر وتنتشي بها؛ ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الإيمان والتوحيد.

(٣) الخانات جمع خان، ومعناه الأمير؛ يعني يسمع هؤلاء الأمراء قولي وأنا في ثياب خشنة لست ملكًا ولا أميرًا.

(٤) يعني الأصحاب الكرام مثل عمر الفاروق وسلمان الفارسي.

الفهرس

obeikandl.com

فهرس

مقدمة ٣
مدخل «ضرب الكليم» ٩
فصول الديوان ١٠
فلسفة إقبال ١١
يا -الحضارة الحديثة ١٥
يب - فلسفته في هذا الديوان ١٥
تفسير اصطلاحات في الديوان ١٦
«الفقر» ١٦
«قلندر» ١٨
«الجنون» ١٩
كلمة الأستاذ أحمد برويز ٢١
غلام أحمد برويز ٣٢
إلى القارئين ٣٢
تمهيد ٣٣
(١) ٣٣
القسم الأول: الإسلام والمسلمون ٣٥
الصبح ٣٥
لا إله إلا الله ٣٥
الاستسلام للقدر ٣٦

obeikandl.com

المعراج ٣٧
إلى سيد مصاب بالفلسفة ٣٧
الأرض والسماء ٣٨
اضمحلال المسلمين ٣٩
العلم والعشق ٣٩
اجتهاد ٤١
شكر وشكوى ٤١
الذكر والفكر ٤٢
شيخ الحرم ٤٢
القدر ٤٢
التوحيد ٤٣
العلم والدين ٤٤
المسلم الهندي ٤٤
على ذكر الإذن بحمل السيف ٤٥
الجهاد ٤٥
القوة والدين ٤٦
الفقر ٤٦
الإسلام ٤٧
الحياة الأبدية ٤٨
السلطان ٤٨
إلى الصوفي ٤٩

obeikandl.com

صريع الفرنج ٥٠
التصوف ٥٠
الإسلام الهندي..... ٥١
قطعة ٥١
الدنيا ٥٢
الصلاة ٥٣
الوحي..... ٥٣
هزيمة ٥٤
العقل والقلب..... ٥٤
سكر العمل ٥٤
القبر ٥٥
همة القلندر ٥٥
الفلسفة ٥٦
رجال اللهَ..... ٥٦
الكافر والمؤمن..... ٥٧
المهدي الحق..... ٥٨
المؤمن..... ٥٩
في الدنيا..... ٥٩
في الجنة..... ٥٩
محمد علي الباب ٦٠
القدر ٦١

obeikandl.com

الخالق وإبليس ٦١
أي روح محمد! ٦٢
مدنية الإسلام ٦٢
الإمامة ٦٣
الفقر والترهب ٦٤
قطعة ٦٥
التسليم والرضا ٦٦
نكتة التوحيد ٦٦
الإلهام والحرية ٦٧
الروح والجسم ٦٧
لاهور وكراجي ٦٨
النبوَّة ٦٩
الإنسان ٦٩
مكة وجنيوا ٧٠
يا شيخ الحرم ٧٠
المهدي ٧١
المؤمن ٧٢
المسلم البنجابي ٧٣
الحرية ٧٣
نشر الإسلام في بلاد الإفرنج ٧٤
لا وإلا ٧٤

obeikandi.com

إلى أمراء العرب ٧٥
الأحكام الإلهية ٧٥
الموت ٧٦
قم بإذن الله ٧٧
القسم الثاني ٧٨
التعليم والتربية ٧٨
المقصود ٧٨
إنسان هذا العصر ٧٩
أمم الشرق ٧٩
التنبه ٧٩
مصلحو الشرق ٨٠
الحضارة الغربية ٨٠
أسرار ظاهرة ٨١
وصية السلطان تيبو ٨١
قطعة ٨٣
اليقظة ٨٣
تربية الذات ٨٤
حرية الفكر ٨٤
حياة الذات ٨٤
حكومة ٨٥
المدرسة الهندية ٨٥

obeikandi.com

التربية ٨٦
الحسن والقبيح ٨٧
موت الذات ٨٧
ضيف عزيز ٨٨
العصر الحاضر ٨٨
طالب العلم ٨٨
امتحان ٨٩
المدرسة ٨٩
الحكيم نيتشه ٩٠
الأساتذة ٩١
قطعة ٩١
الدين والتعليم ٩٢
إلى جاويد ٩٢
-١- ٩٢
-٢- ٩٣
-٣- ٩٤
القسم الثالث: المرأة ٩٦
الرجل الإفرنجي ٩٦
سؤال ٩٦
حجاب ٩٧
الخلوة ٩٧

obeikandi.com

المرأة..... ٩٧
حرية النساء ٩٨
حصانة المرأة ٩٨
المرأة والتعليم..... ٩٩
المرأة..... ٩٩
القسم الرابع: الأدب والفنون ١٠٠
الدين والفن ١٠٠
التخليق ١٠٠
جنون..... ١٠١
إلى شعره..... ١٠١
مسجد باريس..... ١٠١
الأدب..... ١٠٢
البصيرة ١٠٢
مسجد قوة الإسلام ١٠٣
مسرح ١٠٣
شعاع الأمل..... ١٠٤
-١-..... ١٠٤
-٢-..... ١٠٥
-٣-..... ١٠٥
أمل..... ١٠٦
البصيرة ١٠٧

obeikandi.com

إلى أهل الفن ١٠٧
قطعة ١٠٨
الوجود ١٠٩
الغناء ١٠٩
النسيم والندى ١١٠
أهرام مصر ١١٠
مخلوقات الفن ١١١
إقبال ١١١
الفنون الجميلة ١١٢
صبح المرج ١١٣
الخاقاني ١١٣
الرومي ١١٥
الجدّة ١١٥
مِرزا بيدِل ١١٦
الجلال والجمال ١١٦
المصوِّر ١١٧
الغناء الحلال ١١٨
الغناء الحرام ١١٩
النافورة ١١٩
الشاعر ١١٩
شعر العجم ١٢٠

obeikandi.com

أصحاب الفن في الهند..... ١٢٠
الرجل العظيم..... ١٢١
عالم جديد..... ١٢٢
خلق المعاني..... ١٢٢
الموسيقى..... ١٢٣
لذة النظر..... ١٢٣
الشعر..... ١٢٤
الرقص والموسيقى..... ١٢٤
ضبط النفس..... ١٢٤
الرقص..... ١٢٥
القسم الخامس: سياسيات المشرق والمغرب..... ١٢٦
انقلاب..... ١٢٦
تملق..... ١٢٦
المناصب..... ١٢٧
أوربا واليهود..... ١٢٧
عبودية الأنفس..... ١٢٨
الروس الشيوعيون..... ١٢٨
اليوم والغد..... ١٢٩
المشرق..... ١٢٩
سياسة الإفرنج..... ١٢٩
العبيد..... ١٣٠

obeikandi.com

إلى أهل مصر ١٣٠
الحبشة (١٨ آب سنة ١٩٣٥) ١٣١
أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة ١٣٢
جماعة الأمم الشرقية ١٣٣
الملك الخالد ١٣٣
الجمهورية ١٣٤
أوربا وسوريا ١٣٤
من موسوليني (إلى أنداده في المشرق والمغرب) ١٣٤
شكوى ١٣٥
انتداب ١٣٥
السياسة اللادينية ١٣٦
شبكة التمدين ١٣٦
نصيحة ١٣٧
قرصان وإسكندر ١٣٧
عصبة الأمم ١٣٨
الشام وفلسطين ١٣٨
أئمة السياسة ١٣٨
نزعات العبودية ١٣٩
صلاة العبيد ١٣٩
إلى عرب فلسطين ١٤٠
الشرق والغرب ١٤٠

obeikandi.com

القسم السادس: أفكار محراب جل الأفغاني ١٤١
-١- ١٤١
-٢- ١٤٢
-٣- ١٤٢
-٤- ١٤٢
-٥- ١٤٣
-٧- ١٤٤
-٨- ١٤٥
-١٠- ١٤٦
-١١- ١٤٦
-١٢- ١٤٧
-١٣- ١٤٨
-١٤- ١٤٨
-١٦- ١٤٩
-١٧- ١٥٠
-١٨- ١٥٠
-١٩- ١٥١
-٢٠- ١٥١
فهرس ١٥٣

obeikandi.com